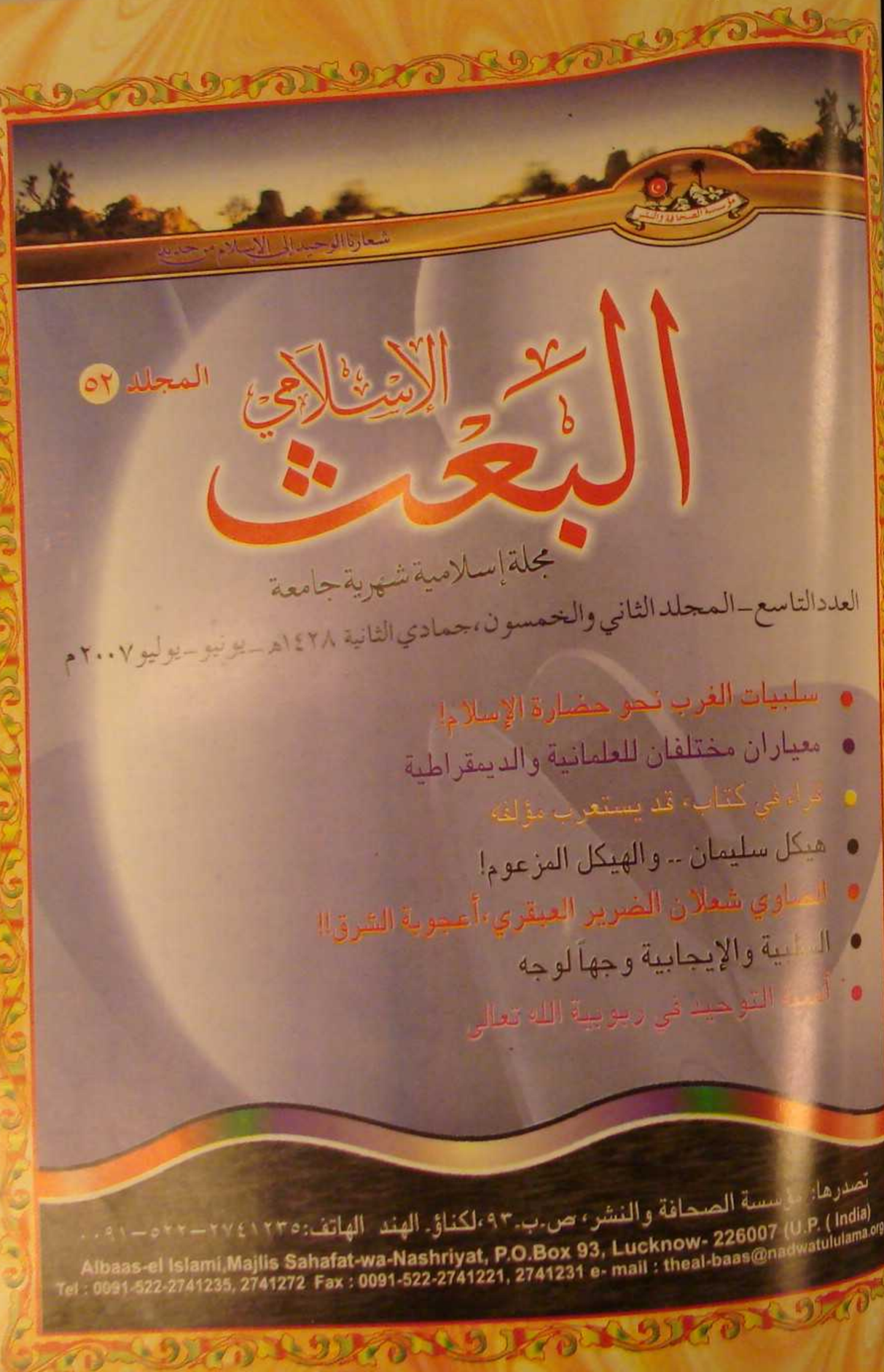

Tel : :91-522-2741235, 2741272
Fax :91-522-2741221, 2741231
(Vol. 52, Issue. 08)
Monthly
R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/
Regd. No. LW-NP/642006
(June. 2007)
AL-BAAS-EL-ISLAMI

إصدارات جديدة:

كتاب
العربية والأدب

(مجموع مقالات وخواطر في العربية والأدب)

تاليف

محمد نعمان الدين الندوي

رئيس تحرير مجلة : الصحوة الإسلامية
ورئيس المعهد العالي للغة العربية وآدابها
بالجامعة الإسلاميه دارالعلوم حيدر آباد-الهند

إشراف

دار حسان للطباعة والنشر والتوزيع
الجامعة الإسلاميه دارالعلوم حيدر آباد-الهند

Jamia Islamia Darululoom Hyderabad
Jamia Nagar, Post, S. V. P. N. P. A.
Hyderabad, 500052, (A. P.) INDIA

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept of Journalism & Publicity) at Kakori Offset Press, Lucknow, U.P.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الثاني والخمسون

○ رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد التاسع
جمادى الثانية ١٤٢٨هـ
يونيو-يوليو ٢٠٠٧م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥
الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مأتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغوب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

محتويات العدد

(ع/٩، ج/٥٢، جمادى الثانية ١٤٢٨هـ)

الإمام الندوي رح يخاطب مصر : اسمعي يا مصر ! ٣

الافتتاحية :

سلبيات الغرب نحو حضارة الإسلام ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

قراءة في كتاب ، قد يُستغرب مؤلفه د/محمد بن سعد الشويعر ١٠

هيكل سليمان .. والهيكل المزعوم ! أ.د/محمد السيد علي بلاسي ١٦

الصاوى شعلان الضرير العبقري ، أعجوبة الشرق !! سعادة الدكتور غريب جمعة ٢٢

الدعوة الإسلامية :

أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى د/حافظ أبو نعمان محمد إرشاد الله ٣٢

السلبية والإيجابية وجهاً لوجه الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٣٩

من أعلام التاريخ الإسلامي :

أضواء على حياة الشيخ محمد الغزالي وموقفه تجاه الحضارة الغربية الأستاذ محمد عفان الندوي ٤٨

الثقافة الإسلامية في الهند :

النقد على ما كتبه الباحث عرفات ظفر في (الشعر العربي الهندي في مراحله المختلفة)
الأستاذ محمود عالم الصديقي ٥٩

من تاريخ الأدب العربي الحديث :

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية (حتى عام ١٩٥٠م) الأستاذ د/مجيب الرحمن الندوي ٧٣

صور و أوضاع

معياران مختلفان للعلمانية والديمقراطية واضح رشيد الحسني الندوي ٨٣

قراءة في كتاب :

كتاب العربية والأدب الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي ٨٨

أخبار علمية وثقافية :

مجمع الفقه الإسلامي في الهند في ملتقاه الأخير ترجمة : الأستاذ محمد إبراهيم الندوي ٩٣

إصدارات جديدة :

١- كتب تفسيرية مهمة عديدة ، وتراجم القرآن الكريم قلم التحرير ٩٦

٢- هدايا الإسلام للنساء ٩٦

٣- فتح المطالب ، في مناقب علي بن طالب ٩٧

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد الغفار حسن الرحماني ، في ذمة الله تعالى قلم التحرير ٩٨

والدة الشيخ الأستاذ محمد كليم الصديقي ، إلى رحمة الله تعالى ٩٩

رحيل سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، إلى رحمة الله تعالى ٩٩

سمو الأمير عبد الله الفيصل ، في ذمة الله تعالى ١٠٠

الإمام الندوي رح يخاطب مصر :

اسمعي يا مصر !

إنّ مسئوليتك – يا مصر – أوسع وأعظم من تأدية رسالة الأدب ، وخدمة لغة العرب ، وما تجودين به على الأقطار العربية الشقيقة من رشحات الثقافة الأوربية ، وفتات المدنية الغربية .. إنك بين آسيا وأوربا ؛ فأنت : مُلتقى الثقافتين ، ومجمع البحرين .

إنك وسط بين مهد الإسلام ومشرق نوره ، وبين مَولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ؛ فعليك مسئولية القارّتين ، وعندكِ رسالة الثقافتين .

فأمّا مسئولية آسيا والأقطار العربية ، فلا تخرجي منها – يا مصر – حتى تكوني قنطرة تعبر عليها – إلى البلاد العربية – تجارب أوربا ، وعلومها ونشاطها وكدحها في الحياة وجهادها للبقاء ؛ هنالك تقومين برسالتك و وظيفتكِ لهذه البلاد التي ترتبطين بها برابطة دينية وروحيّة وثقافيّة وسياسيّة .

وأما مسئولية أوربا ، فلا تخرجي منها حتى تُبلغي رسالة الله للعالم ، التي خرجت من الجزيرة العربية – وهي الإسلام الذي احتضنته من زمان – إلى أوربا ، وحلّ المشاكل التي أعيت كبار المفكرين فيها ، وأتعبت عُظماء المُشرّعين منها .. وبذلك تُؤدّين واجبكِ المُقدّس نحو هذه القارّة الأوربية التي استوردتِ منها شيئاً كثيراً من العلم والمصنوعات والمُنتجات ، ونظمتِ عليها مدنيّتكِ وحياتكِ نظماً جديداً ، وتُحسنين إليها أكثر مما أحسنت إليكِ ، وتُصدّرين إليها أفضل مما صدّرت إليكِ .

(أبو الحسن علي الندوي)

الافتتاحية:

سلبيات الغرب نحو حضارة الإسلام !

الذين يعادون الدين الإسلامي ويبغضون المسلمين ، اتباعاً للأهواء الباطلة وامتثالاً للحقد الدفين الذي يعيش في غضون نفوسهم ، إنما يبذلون جهوداً مُضنية لتشويه صورة الدين الحنيف ، وإسدال الستار على تاريخ الإسلام المشرق ، فقد كان الدين سفينة نجاة للشعوب والأمم التي كانت تتلاعب بها أمواج الجور والطغيان ، والبهيمية ، وكادت تلتقمها من غير عودة ، وقد سُحِقتْ بين رحوي حضارتي الفرس والروم ، وكادت تلفظ نفسها الأخير لو لا رحمة الإسلام أخذت بيدها وأنقذتها من هذا المهلك المحتوم ، ولكانت أثراً ضمن آثار التاريخ البشري ، واطلع عليه الناس من خلال أقلام الباحثين والمؤرخين .

فالدين الذي هذا شأنه في تاريخ الإنسان ، وهذه منته على العالم البشري ، أصبح محقوداً ومبغوضاً في أوساط المغرضين من أبناء الجنس البغيض والمتاع الرخيص ، فلا يدعون حيلة ولا وسيلة إلاّ ويستخدمونها في محاربة الدين والأخلاق والمروءة والإنسانية ، ويركزون على تصفية جميع الخصائص العقدية والثوابت الإيمانية والقيم الخلقية من غير هوادة ولا إمهال ، كما هو المشاهد المنظور في ساحة العالم الحديث الذي يعبّ عبّاً بالعلوم والإبداعات والتقدم في مجال البحث والتنقيب ، ويوفر للإنسان نتائج العقل البشري الذي

خلقه الله تعالى - ودّبَّر أمره - مما لا يستغني عنه الناس في عصر التطور التقني والعلمي والحضاري .

والمسلمون هم الذين كُتب لهم السبق في مجالات المعارف والعلوم والاكتشافات الكونية منذ فجر تاريخهم ، إنهم أثروا العالم الغربي بحضارة إنسانية متكاملة ، وبلغوا به في نهاية المطاف إلى آخر المدى من الإبداع العلمي والثقافي ، ولم يتم ذلك إلاّ بفضل الدين الإسلامي الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور ، وكان ذلك من أعظم المِنَن التي أسدى بها الإسلام إلى إنسان الغرب وعَلمه أساليب العيش وآداب الحياة وفضائل الأخلاق ونزاهة التعامل ، بعضهم مع بعض ، ذاك أن الدين الإسلاميّ كان تكملةً لجميع الديانات والمذاهب الإنسانية ، وختمت عليه الرسالات السماوية ، وأعلن عن كماله وشموله وتمام نعمته وكونه مرضياً عند الله تبارك وتعالى ، ومنسجماً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها بوجه دائم وطريقة خالدة ، فهو للإنسان والكون والحياة بمثابة العظم الفقري الذي يتكفل بقيام الجسم وحياته ، حتى إذا أصيب بعِلّةٍ لم تعد الحياة صالحة للنشاط والعمل ، وإنّما كانت كَلاً على صاحبها وعلى الناس والمجتمع .

من ثم كان الإسلام رحمة عامة شملت الكائنات كلها ، ورفع بالإنسان المسلم إلى القمة العالية حيث أصبح سيد الكون ، وتحمّل مسئولية نشر الخير والمعروف ودفع الشر على جميع المستويات في العالم كله ، فكان أداة العلم والعمل والنصح والبر ومثل الطاعة الكاملة في جميع الأوامر والنواهي ، التي تلقاها من رسوله الكريم خاتم النبيين ﷺ الذي اتصل بربه تبارك وتعالى بطريق الوحي ، ونزل عليه جبريل عليه السلام بجميع ما يحتاج إليه البشر من تعاليم وتوجيهات ،

سواء تتعلق بأي مجال من مجالات الحياة، من الدين والعقيدة، والدنيا والمعاش، والأخلاق والآداب، والشرائع والعبادات والمعاملات، وسواء في حالة السلم والحرب، وفي ظروف الأمن والخوف، وكل ما يتعلق بصناعة الإنسان، وكان كعنصر مثالي للسلوكيات الإنسانية الرفيعة، يمثل القيم المثلى ولا يهتم إلا بتحلية الحياة بفضائل من كل نوع، وهكذا كان الدين الأخير نابعاً من: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا * لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ * وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾.

فكيف يتغير هذا الدين الذي نزل على ناموس الطبيعة، وقضى الله تعالى بكماله ودوامه، وكيف تتبدل طبيعة المنهج الرباني لحياة الإنسان، رغماً مما يعرف أصحاب المِلل والنحل السابقة هذه الحقيقة الثابتة، ولكن الحقد المكنون في دفائن نفوسهم يجعلهم في قلق، يعيشون فيه على حسك السعدان، لكي يُقللوا من عظمة هذا الدين الحنيف على أقل تقدير، وذلك بتوجيه برامج ومخططات إلى الأمة الإسلامية، تنال من عقيدتها وتضعف إيمانها وتدخل في نفوس أهلها قسطاً كبيراً من الارتياب وسوء الظن بالإسلام، مؤكدة أن هذا الدين الذي مضت عليه قرون طويلة لا يغني عن متطلبات العصر الراهن ومقتضيات الحياة والمجتمع في العالم الحديث، زيادةً على ما يزينون في نفوس المسلمين من المنكرات والرذائل، محاولة أن يقطعوا صلتهم عن نبع الإيمان العذب، ويشوهوا تاريخ الإسلام المشرق، ويستهينوا بشخصية خاتم النبيين محمد ﷺ الذي كان سبباً لانتشال الإنسانية من أوحال الكفر والشرك والجاهلية الأولى، وتكريم الإنسان بعبادة الله والاتصال به في جميع الظروف والأحوال، وقد قال

عزّ من قائل: ﴿ هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِيْ الأُمِّيِّيْنَ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ * يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ * وَيُزَكِّيْهِمْ * وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ * وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَلاَلٍ مُّبِيْنٍ ﴾.

أما زعماء الغرب البارزون الذين تتلألأ نجومهم فيما يزعمون، فقد تعروا عن لباس الحشمة والزينة، ولم يعد لديهم ما يميز الإنسان عن غيره من عدل وسلوك رفيع، وتميزات إنسانية، بل الواقع أنهم يتلوثون بالجرائم المنكسة للرءوس، من قتل الأبرياء والغزو العسكري على بلدان الأغلبية المسلمة المترعة بالثروات المعدنية وآبار النفط، أضف إلى ذلك ما يعيشونه من الفساد الخلقي والإداري بأرفع مستوى ممكن، ولا يبالون بما إذا مارسوا كُلَّ عار وشر وجريمة علناً وجهراً توخياً منهم تلويث أجيال الشباب الصاعدة والمراهقين والمراهقات بمثل هذه الرذائل، حتى يتهدم أساس المجتمع، ويتسفل الشباب الناهض إلى الدرك الأسفل من التدهور الخلقي من غير خوف لومة لائم.

هذا، وقد بذلوا مع ذلك كله محاولات في المجالات التي يتأذى بها المسلمون ويعيل صبرهم، كما قد حدث في الصحافة الدانمركية من نشر رسوم مرذولة ونسبتها إلى الرسول الأعظم محمد ﷺ بغاية من الجراءة والسفاهة، وكلما احتج المسلمون على هذه الإهانة والذلة، و ملأوا العالم بهتافات الاحتجاج الصلخبة والرد عليها بالغضبة الثائرة، تزايد المجرمون شدةً في السخافة والنذالة، وتكررت نشرات الرسوم في بلد دون بلد، ولكن النتائج لم تكن في حق المجرمين النذلين، وإنما كانت في صورة تساؤلات في العالم كله حول شخصية النبي الكريم ﷺ وقدسية مكانته حتى عرف الناس ما لم يكونوا يعرفونه من قبل، من

عظمة نبينا الكريم ﷺ ، وقُرئت سيرته ، ودخل اسمه ﷺ في الأُسر والبيوت ، وتشرف عدد كبير بالاهتداء إلى الإسلام .

ولو أن المسلمين المعجبين بحضارة الغرب والمتصيدين بشباك المؤامرات التي تحاك ضدهم تأكدوا أن ما يجرى حولهم من أدوار لقلب ماهيتهم وعكس حقيقتهم الإيمانية بالمكايد اليهودية وتدابير إجرامية ، من إغراءات سافلة وتحبيب منكرات من القول والعمل ، وتأكيد أن الإنسان في العصر الحديث لا يكاد يستسيغ تعاليم الإسلام ولا يسعه أن يسايرها ويعيش في سعادة ورفاهية ، ذاك أنه عصر الاستقلال النفسي ، والدوران مع الزمان حيث دار ، وليس عصر التقيد بالقيود الدينية والالتزام بالقيم الخلقية ، إلا إذا كانت المصالح المادية تتطلب ذلك لوقت محدود أو في ظروف خاصة معينة .

بهذا وأمثاله يستثيرون عواطف سلبية في نفوس الشاب المسلمين أفراداً وجماعات ويلحون على إزاحتهم عن الخط المستقيم ودفعهم إلى متاهات لا يمكن الخروج منها بمجرد عرض دعوي يتكفل بعودتهم إلى طريق الإسلام الواضح المبين ، فقد أشرب في قلوبهم العجل ، وهو الذي يهيمن عليهم في جميع نشاطاتهم وممارساتهم ، لذلك نراهم يخطون بخطوات حثيثة نحو امتثال أوامر سادتهم ، والعمل بتعليمات تُوجه إليهم من قبلهم ، وخاصة فيما يتعلق بالثوابت العقدية ، واستبدالها بالسفالات الحضارية والفلسفات الاجتماعية التي تفقد الإنسان تميّزه من الكائنات الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ * وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ * وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ * وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ .

بالعكس من هذا الواقع الرباني تجد زعماء الحضارات المادية

وحتى البابوات الذين يُعتبرون أول ممثل للدين والأخلاق والفضائل والآداب افترستهم المطامع الخبيثة في المال والجاه والجنس ، وقد تسفلت بهم الأهواء النفسية والشهوات المردية إلى أسفل درك من الرذائل والفضائح التي يتنكس بها رأس الإنسانية ، فقد أفادتنا المصادر العليمة بما شهدته البرازيل مؤخرا من تورط الحاخام الأكبر في مدينة "ساوباولو" أكبر جالية يهودية في أمريكا اللاتينية ، جاء فيما نشرته مجلة "المجتمع" الكويتية :

"تورط الحاخام الأكبر "هنري سوبل" في سرقة ما يزيد على ٦/ ربطات عنق تبلغ قيمتها ٧٠٠دولار أمريكي من سوق "لويس فييتون" الفاخر في "بالم بيتش" بالولايات المتحدة الأمريكية .

وحسب تقرير أعدته شرطة فلوريدا فإن كاميرا تابعة للأمن صورت الحاخام البرازيلي "سوبل" وهو يسرق ربطات عنق ، وقام أحد حراس المحل بإبلاغ الشرطة التي أعتقلته بعد ٢٠دقيقة ، فنفي الأمر حينها ، ثم عرض عليهم دفع ثمن ربطة العنق ، قبل أن يعترف بأنه سرق ثلاث ربطات أخرى من محلات مختلفة وسيق إلى السجن ، ثم أطلق سراحه في اليوم الثاني ، بعد أن دفع كفالة مالية قيمتها ٣٠٠٠دولار" .

هذا مثال واحد لأكبر رجل ديني في الولايات المتحدة ، يكفى لكي نستوحي منه دروساً وعبراً للذين ينظرون إلى الغرب وأهله بإعجاب وبدافع من التقليد والتبعية ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ : إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى * وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ * مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (البقرة/١٢٠) .

سعيد الاعظمي

التوجيه الإسلامي :

قراءة في كتاب، قد يُستغرب مؤلّفه

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

استرعى اهتمامي كتاب في الفقه الإسلامي، ألّفه رجل من نصارى العرب في لبنان، يدلّ على اهتمامه واعتنائه بهذا الجانب، مع غرابة المؤلّف، ولم أجد ما يدل على أنّه مسلم، أوله سابقة في التأليف الإسلامي، بيد أنّ هذا الكتاب في عمق الأحكام الفقهيّة الإسلامية، بل المؤكد للأمر، أنّه ذا رأي يرجّح ويصوّب ؛ بقوله : قلت : والمناسب كذا .

ولإزالة تساؤلات القارئ .. أحببت مشاركته في هذا العرض، لعلّه يأخذ فكرة موجزة من الطّرح عن هذا الكتاب، وليتّضح انصهار النصارى خاصة، وأهل الكتاب عامّة، في المجتمع الإسلاميّ، انصهاراً كاملاً، ولم يُبْدِ المسلمون مضايقتهم، في أيّ أمر، ما داموا لم يظهروا عداء، أو يعينوا الأعداء .

وبتتبع أقوال كبار الملّتين المنصفة، نراهم يعترفون بعدالة الإسلام، وسعة أفق علماء وحكّام الإسلام، بما لم ينعموا به تحت أيّ ظل، حتى من طوائفهم، وفيما بينهم .

وقد رسم عمر بن الخطاب ﷺ، عندما استولى المسلمون، على ديار الشام، وبعد مجيئه لاستلام بيت المقدس، شروطاً تحمى مصالح أهل الكتاب، وتميّزهم، عرفت بالشروط العمريّة، وهي تزيد عن أربعين شرطاً طُبعَتْ علّة مرات، وبمثل هذا حصل في الأندلس، وفي ديار كثيرة، حيث نعموا بالأمان والاطمئنان، وضمان حقوقهم،

فتولّدت المحبّة، حيث يُحْتَرَمُوْنَ في تعاملهم، فَرَضُوا بتطبيق الأحكام الشرعية عليهم، بعد تعمّقهم في فهم هذا الدين، الذي يمنع الظلم والتجاوز .

ممّا دُفع كثير منهم لدخول الإسلام، برغبة وقناعة، وأن يحفظوا الحقوق في البيئة، مع التخلّق بآداب الإسلام، التي لامست قلوبهم، مع مشاركة أهل الرأي منهم، بدراسة العلوم الإسلامية، وأثرها في تكوين المجتمع الصالح، و محاربة الظلم و الفساد، و مِنْ ثَمّ التأليف فيها، والدعوة إليها لأثرها الطيب .

وبرز ذلك في كثير من كتبهم، ودراساتهم المتجرّدة من النوازع العدائية، التي يميلها عليهم الحاقدون على الإسلام، حيث يلمس المتابع رضاهم، بل دعوتهم لعدالة الإسلام، وسموّ تعاليمه، كما برزت نماذج من ذلك، ونخصّ منهم : بول ديورانت، في موسوعته التاريخيّة : قصة الحضارة .

فاعترف كما اعترف غيره من المفكرين المتجرّدين : بدور حضارة الإسلام على الإنسانية، ولذا نرى في الوقت من يقول منهم : لا يضير الإسلام، وأبناء الإسلام، ما يحصل من المغرضين والمدفوعين من شتائم وسباب .

وأكاذيب على الإسلام ورموزه، فإنّ ذلك من الأمور التي تحصل في كلّ بيئة، وبين أفراد كل ملّة، سواء جاء الهجوم على الأفراد أو الأسرة، أو الجماعات الصغيرة، ورغم ذلك يبقى الإسلام رمزاً للمحبّة والتآلف والعدالة والأمن .

وبلغ الأمر إلى أنّ كثيراً من تعاليمه أدخلوها في أنظمتهم : القضائيّة والأمنيّة وغيرها، حتى إنّ القانون الفرنسي الذي يعتبر أبا القوانين الغربيّة كلّها، استمدّتْ أكثر موادّه من الإسلام، لإدراكهم

بسموّ هذه التعاليم ، وحرصها على حفظ الضرورات الخمس المهمة للإنسان : الدين والنفس والمال ، والعرض والأمن .

ولقد انبرى كثير من نصارى الشام ومصر ، وغيرهما ، من ديار المسلمين ، بعد دراسة الإسلام ، والتّعامل مع المسلمين ، إلى المشاركة في التأليف لخدمة اللغة العربية وآدابها ، وفي شريعة الإسلام ، بدافع ذاتيّ ، حتى إن كثيراً من المحامين منهم ، قد حفظوا القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث ، ويستشهدون بذلك في مرافعاتهم أمام قضاة مسلمين .

دون أن يفرض عليهم شئ من ذلك ، مع الدفاع عن المسلمين ودينهم ، في القضايا التي تستلزم ذلك .

وفي هذا تحقيق لمضمون الآية الكريمة : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا الْيَهُوْدَ وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا * وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا * الَّذِيْنَ قَالُوْا : إِنَّا نَصَارَى * ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْسِيْنَ وَرُهْبَاناً * وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ** ﴾ (المائدة/٨٢) .

ولن نستعرضهم ، فهم كثير في أصقاع الأرض ، ويبين هذا من بعض الدراسات والكتب ، وما فيها من أفكار وآراء منصفة ، ونفوس راغبة في رفع الظلم ، وتسلّط الإنسان على الإنسان ، وحباً في القضاء على الجريمة ، يبين هذا في كثير من الأمور التي تظهر في المجتمعات بين وقت وآخر ، وهذا باب واسع ، يحتاج لموضوع مستقل .

وبعد هذا المدخل ، فإنّ الذي دفعني لذلك : كتاب وقع عليه نظري ، في الفقه الإسلامي ، ألّفه واحد من نصارى لبنان - ولا شكّ أنّ له نظائر - صدر في آخر أيام الدولة العثمانية ، حيث طبع عام ١٩١٣م في بيروت ، سوف نعطي عنه لمحة من بين ثناياه ، حسبما سطّره المؤلف .

فهو كتاب كبير الحجم ، به معلومات في الفقه ، جديرة بالاهتمام ، سمّاه المؤلف : التّتمة الفقهية ، للفقير إليه تعالى : إلياس داؤد كسبار ، أبي إلياس اللبنانيّ ، حقوق الطبع والترجمة ، محفوظة للمؤلف ، مطبعة صبرا ، بيروت عام ١٩١٣م ، هذا ما جاء في طرّة الكتاب .

يقع هذا الكتاب في (٦٧٥) صفحة ، مع الفهرس وقائمة بتصحيح الأخطاء الطباعيّة ، التي اهتمّ بها كثيراً ، ونبّه إلى ضرورة التعديل في أماكنها ، حتى لا يختلّ المعنى عند القارئ ، وهذا من أمانته في النقل ، وباستعراض بعض الجزئيات ، لهذا الكتاب ، لم يتبادر لذهني ، أنّ المؤلف مسلم ، حيث يدرك القارئ ، من استقراء هذا الكتاب ، اهتمام المؤلف بالأحكام الإسلامية ، وخاصّة الفقه الحنفيّ ، الذي هو المذهب المعتمد في الدولة العثمانية ، بل يتبادر إلى الذهن ، أنّ هذا المؤلف ، من فقهاء المسلمين ، المدركين للمذاهب الأربعة ، والمهتمين بقواعد الأصول الفقهية .. مع استحضار الأدلة النقليّة .

و لو لا أنّه نسب نفسه في المقدمة ، للديانة المارونية النصرانية ، لما تبادر للقارئ وهو يقرأ في هذا الكتاب ذلك .

ولا شكّ أن هذا المؤلف قد مات ، ونترك خفايا أمره لله ، لأنني لم يقع نظري على ترجمة له ، فيما اطّلعت عليه من التراجم ، إلا أنه قد استرعى اهتمامي عند الزركلي وكحاله ، كثرة النصارى المترجم لهم من ديار الشام ومصر خاصّة ، وفي غيرهما عامّة .

ممن كتب عن الإسلام واللغة العربية ، وممن أجرى دراسات إسلامية ، في تاريخ المسلمين .

ويدرك القارئ من العناوين ، وبعض الكتب المترجمة :

الاهتمام الكبير بالإسلام ، ومكانته : فكراً وعلماً ودوراً ، في حماية المجتمعات : بمنهجه المتلائم مع العصر ، ودوره التسامحي في التعامل ، وحفظ الحقوق بدون تمييز أو تحيّز ، يبرز مثل ذلك لدى أمين الريحاني (١٢٩٣-١٣٥٩م) ، في عاطفته العربية ، وحبّه لتعاليم الإسلام : حماسةً ودفاعاً ، كما بان من كتبه ، ورابطته بالملك عبد العزيز رحمه الله .

بحيث أصبح منهم في البيئة الإسلامية ، وتحت الحكم الإسلاميّ من لا يستطيع المرء التمييز بينه وبين المسلم ، لو لا الانتماء حتى إن كثيراً من أسمائهم : ذكوراً وإناثاً لا يدري ، من يسمعها عن ديانة صاحب كل اسم .

ولعل جولة عابرة ، في هذا الكتاب ، مع مؤلفه : إلياس كسبار ، تعطى القارئ فكرة عن مستواه العلمي الشرعيّ ، وما يدور بذاكرته من علم وفكر المؤلف ، فقد قال في المقدمة ، التي سماها فاتحة الكتاب التي لم يصل على النبي فيها . (للبحث صلة)

📖 **فتح دمشق :**

في عهد عمر بن الخطاب ﷺ فتح الله على المسلمين بلاد الشام ، قال الطبري في تاريخه : كان أول محصور بالشام ، أهل فِحْل ثم أهل دمشق ، وبعث أبو عبيدة ، ذا الكلاع ، حتى كان بين دمشق وحمص رداً ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، ويزيد بن أبي سفيان على ناحية ، وعمرو بن العاص على ناحية ، وهرقل يومئذٍ على حِمْص .

فحاصروا دمشق سبعين ليلة ، حصاراً شديداً ، وجاءت جنود هرقل نجدة للدمشق ، فشغلتها الجنود التي مع ذي الكلاع ، ففشل أهل دمشق و وهنوا ، لما أيقنوا أنّ الإمداد لا تصل إليهم .

وصاحب دمشق جاءه مولود ، فصنع طعاماً اشتغل به ، أمّا خالد

ابن الوليد ، فإنه مستعدّ ويقظ ، وقد هيأ حبالاً كهيئة السلالم ، فلمّا أمسى هيأ أصحابه ، وتقدّم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن علي وأمثالهم .

وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السّور ، فارقوا إلينا واقصدوا الباب ، فلما انتهى خالد بن الوليد ، ورفقاؤه إلى الخندق ، رموا بالحبال إلى الشُّرف ، وعلى ظهورهم القِرَب ، التي سبحوا بها في الخندق .

وتسلّق القعقاع ، ومذعور السور ، فلم يدعا أحبولة ، إلاّ أثبتاها في الشُّرف ، وكان ذلك المكان أحصن مكان في دمشق .

فاستوى على السور خلق من أصحابه ، ثم كبّروا ، وانحدر خالد بن الوليد ، إلى الباب فقتل البوّابين ، وثار أهل البلد ، إلى مواقفهم ، لا يدرون ماذا حصل ، فتشاغل أهل كلّ جهة ، بما يليهم ، وفتح خالد الباب ، فدخل أصحابه عَنْوَةً .

وقد كان المسلمون دَعَوْهُم إلى الصّلح ، والمشاطرة فأبوا ، فلما رأوا البلاء ، بذلوا الصّلح ، فأجابهم من يليهم ، وقبلوا وقالوا : أدخلوا وامنعونا ، من أهل ذلك الباب .

فدخل أهل كل باب ، بصُلْحٍ ما يليهم ، فالتقى خالد والأمراء ، في وسط البلد ، هذا استعراضاً ونهباً ، وهؤلآء صلحاً .

فأجروا ناحية خالد على الصّلح بالمقاسمة ، وكتبوا إلى عمر بن الخطاب بالفتح ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يجهّز جيشاً إلى العراق ، نجدة لسعد بن أبي وقّاص ، فجهّز لهم عشرة آلاف ، عليهم هاشم بن عتبة . (تاريخ الطبري : ج/٣ ، ص/٣٢٦-٤٤٠) .

***

هيكل سليمان .. والهيكل المزعوم !

بقلم : أ.د/محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتّاب مصر)

أ- هيكل سليمان :

جاء في الكتاب المقدس بأن داؤد كان يريد أن يبني هيكلاً للرب في أورشليم ولكن النبي "ناتان" أبلغه - من لدن العرب - بأن يترك هذا المشروع لابنه سليمان (صمويل الثاني : ٧) لماذا ؟ إن داؤد نفسه ليشرح سبب ذلك لابنه سليمان شرحاً له دلالته ومغزاه حتى في العصر الحديث وليسمع كهنة الصهيونية التوسعية في فلسطين الآن (أخبار الأيام : ٢٢) : "وقال داؤد لسليمان : يا بني ، كان في خاطري أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي ، فكان إلي كلام الرب قائلاً : قد سفكت دماً كثيراً ، وقمت بحروب كبيرة فلن تبني بيتاً لاسمي ؛ لأنك سفكت دماء كثيرة أمامي على الأرض ، وها هو ذا ابن يولد لك ، يكون رجل سلم ، أسلمه من جميع أعدائه الذين من حوله ؛ إذ سيكون اسمه سليمان ، وسأعطي سلاماً وهدوءاً لبني إسرائيل في أيامه هو يبني لاسمي بيتاً" .

أما مكان البناء : فالإجماع منعقد - بناء على عنعنات شفوية ؛ يقال : إنها متصلة متواترة - على أنه الهضبة المسطحة التي تتوج جبل "موريا" - المكان الذي وجد فيه إبراهيم قبل سليمان بألف سنة ، الرجل الفلسطيني الأصل "ملكيصدق" ، ملك أورشليم ، بعبد الله العلي ، ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لإبراهيم الخبز والنبيذ ، ثم يباركه "باسم الله العلي" أيضاً (١) .

(١) أ.د/حسن ظاظا : القدس : ص/٣٩-٤٠ (ط/مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية د.ت.

ويرجع كثير من الآثاريين وفي مقدمتهم الآثاري الفرنسي "دي سولسي" في كتابه : "تاريخ الفن اليهودي" : أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل ، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه ، وبعد سليمان بنحو خمسمائة سنة أخرى ، كان يحيط به سور أيضاً ، وكذلك الهيكل الذي عمره هيرودس بعد ذلك بخمسمائة سنة أخرى ، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيراً ، في نفس المنطقة التي كان "ملكيصدق" يدعو فيها باسم الله العلي في زمن إبراهيم ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان ، كان مربعاً طول ضلعه مائة وثمانون متراً (فيكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعاً) ، وبهذه المناسبة يذكر الآثاري الفرنسي "دي سولسي" مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه ، وهي : الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله ٣٨٤/متراً ، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥/متراً ، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط مستقيم بحيث يكون الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبي ، وينبني على ما ذكره "دي سولسي" أن تكون مساحة الحرم الشريف أكبر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان ، أو نحميا ، أو هيرودس .

هناك أيضاً أمر يستحق الانتباه ، هو أن الحرم الإسلامي الشريف مستطيل ، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة) ، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط .

إذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدعون بأن الحرم يقوم تماماً على ما كان يسمى سابقاً "هيكل سليمان" ، حتى لو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل وهذا لا دليل عليه إلا العنعنات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال (٢) .

ب- هدم هيكل سليمان :

وقد بقي هذا الهيكل حتى خربه بختنصر ، فمحا أثره محواً تاماً في القرن السادس قبل الميلاد ، وربما دخلت حجارة من أنقاضه في أبنية متأخرة ، ظن بعض الباحثين ، بحسن نية أو للمغالطة وتشويه التاريخ ، أنها بقايا من إنجازات سليمان ! (٣) .

ج- الهيكل الثاني :

كان هم العائدين من السبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين ، وأن تقوم لهم دولة ، تحت وصاية "قورش" إمبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد حاولوا جاهدين أن يعيدوا بناء أورشليم وأن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بني عليه الهيكل الأول ، هيكل سليمان ، وانتهى البناء في عهد دارا الأول الفارسي (٤) .

د- هدم الهيكل الثاني :

وهذا الهيكل الثاني أيضاً انتهى أمره بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد "تيتوس" الروماني ، ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية ، وحائط المبكى كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربي ، واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن "الجدار الغربي" ، ويذهبون

(٢) المرجع السابق : ص/٤٣. (٣) نفس المرجع : ص/٤٥-٤٦. (٤) المرجع السابق : ص/٤٧.

إليه للتبرك به ويبكون عنده على مجدهم الضائع طالبين الرحمة من الله والمغفرة لذنوبهم وذنوب أسلافهم ، التي بسببها دمر الله ملكهم مرتين : على يد بختنصر البابلي ، وتيتوس الروماني (٥) .

هـ- الهيكل الثالث (الهيكل المزعوم) :

لإسرائيل أسلوب لا يعوزه الدهاء في السياسة التي تنتهجها في مشكلة الشرق الأوسط وهو أسلوب تحاول به أن يطول بقاؤها بفلسطين ، في عالم يتميز بأن عمر الاستعمار فيه قصير ، وحياته في البلاد التي يتشبث بها رهيبة مرة لا راحة فيها ولا اطمئنان .

وأسلوبها هذا مبني على "التعقيد" ، والانحراف بالمسار عن الطريق الواضحة المستقيمة بإثارة مشكلات جانبية مفاجئة ، من الأفضل لدى قادة الصهيونية ألا ترتبط بفن تنسيق العلاقات الدولية ، والدخول إليها من أبوابها الواسعة ، بقدر ما ترتبط بغيبيات مظلمة ، وأساطير متنكرة في ثياب التاريخ ، و "ميتافيزيقيات" غير إنسانية ، إن لم تنجح في خداع العالم بصورة نهائية فإنها على الأقل ، تجرّه في دوّامتها السحرية مدة من الزمن تطور أو تقصر حسب الظروف (٦).

وكهنة السياسة الصهيونية اليوم يجعلون من "حائط المبكى" (مسمار جحا) يتخذونه منطلقاً لكل دعوة عنصرية جديدة ؛ ولذلك زعم بعضهم أنه بقية سور داؤد ، وقال آخرون : إنه جزء من حائط سليمان ، ونسبه البعض إلى المكابيين أو هيرودس (٧) .

واليهود يقصدون من وراء ذلك : هدم المسجد الأقصى حتى يقيموا على أنقاضه الهيكل المزعوم (الهيكل الثالث) ؛ حيث يزعمون

(٥) نفس المرجع . (٦) أ.د/حسن ظاظا : القدس : ص/٨ .

(٧) المرجع السابق : ص/٣٣ .

أن هيكل سليمان كان على الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى المبارك وفيه الصخرة المشرفة وجميع ما يحيط بهما من الحرم القدسي الشريف ؟!!

و- فرق بين الهيكلين (هيكل سليمان ، والهيكل المزعوم) :

هناك أدلة جوهرية ملموسة تدحض ما يدعيه اليهود من أن المسجد الأقصى قام على هيكل سليمان وأن الجدار الغربي من الهيكل (حائط المبكى المزعوم) قام عليه الجدار الغربي للمسجد الأقصى !

■ هذه الأدلة يمكن أن نجملها فيما يلي - وبإيجاز - :

١- بعد مضي أكثر من ثلاث وعشرين سنة من الحفريات التي قام بها اليهود منذ عام ١٩٦٧م فإن الإسرائيليين لم يجدوا أثراً واحداً يؤيد أطماعهم المعروفة والمعلنة ضد الحرم القدسي الشريف ، لقد كانت الآثار التي تم اكتشافها وحتى يومنا هذا إسلامية في معظمها ، بما في ذلك قصر أموي منيف شاسع يحاذي الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك ، وقد وجدت بعض الآثار الرومانية وبعض الآثار التي تعود إلى العهد الصليبي ، ولكن لم يعثر على أي أثر يهودي مما يدعون !

يستطيع اليهود أن يزوروا التاريخ في كتبهم وأساطيرهم القديمة ولكن أنى لهم أن يخترعوا وجوداً إسرائيلياً من خلال حفرياتهم المتواصلة العميقة تحت القدس العربية القديمة التي يعود تاريخها العمراني المتراكم إلى ألف وأربعمائة عام ، والتي شيدها أهل القدس وفلسطين والعالم العربي الإسلامي (٨) .

٢- أنه على الرغم من انحياز بريطانيا لليهود ، فإن القضاء البريطاني في سنة ١٩٣٠م - أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين - ، حكم بعدم صحة ما ادعاه اليهود من أن حائط المبكى هو الحائط الغربي

(٨) د/حازم زكي نسيبة : إسلامية القدس في مجابهة المطامع الصهيونية المعاصرة : ص/١٠ ، (دراسة منشورة في جريدة "العالم الإسلامي" : العدد/١٢٤٣ ، ١٠/جمادى الآخرة ١٤١٢هـ) .

للمسجد الأقصى وزعمهم بأن هذا الحائط هو أحد أسوار هيكل سليمان.

صدر هذا الحكم بعد شهادة لجنة من خمسة قضاة أوربيين شكلتها بريطانيا ، وبنوا حكمهم بناء على شهادات اليهود والمسيحيين والمسلمين في المنطقة والأدلة التاريخية الثابتة (٩) .

٣- ما نقلناه - سلفاً - عن الآثاري الفرنسي "دي سولسي" من أن هناك اختلافاً بين هيكل سليمان والحرم القدسي الشريف ، سواء من حيث المساحة أو الاتجاه !

مما سبق يتضح : أن حائط المبكى المزعوم ليس حائط المبكى كما يدعي اليهود زيفاً ، وإنما هو حائط البراق ، أو الحائط الغربي للمسجد الأقصى ، وهو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى .

وجدلاً وعلى افتراض أن المسجد الأقصى في جهة من جهاته بني على هيكل سليمان - كما يدعي اليهود - ! فأين هيكل سليمان الآن بعد كل ما وضحناه - سلفاً - من عملية هدم هذا الهيكل وبناء هياكل عليه أكثر من مرة على فترات متباعدة ؟!!

من هنا ؛ يجب أن نعلم - يقيناً - أن القضية ليست قضية الحائط كما قال ابن غوريون : لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل !

إنما اليهود يريدون هدم المسجد الأقصى ؛ حتى يقيموا على أنقاضه الهيكل المزعوم (١٠) !

(٩) أ.د/أحمد شلبي : القدس .. أي مستقبل ينتظرها ؟ ص/٦ (مقابلة منشورة في جريدة العالم الإسلامي : العدد/١٤٥٦ ، ٣/محرم ١٤١٧هـ) .

(١٠) من كلمة للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ألقاها نيابة عنه جمال الصوراني في ندوة : "أمن وقدسية المسجد الأقصى" في القاهرة صبيحة يوم ١٠/جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ، انظر مجلة : "أرض الإسراء" : العدد/١٣١ ، ذي القعدة ١٤٠٩هـ : ص/١٤ وما بعدها .

الصّاوي شعلان الضرير العبقري، أعجوبة الشّرق !!

(حلقة أولى)

بقلم : سعادة الدكتور غريب جمعة
(جلة - المملكة العربية السعودية)

هو رجل .. كلماته التبر .. وبيانه السحر .. ونطقه الإلهام .. وحديثه الحكمة .. وخياله السمو إلى أفق سماوي وجو ملائكي، والتحليق في عالم الحسن الفتان .

يجود بالأدب نظماً ونثراً عن طبع طيع ، وسجية سهلة ورأي سديد وعقل راجح ولسان صادق لا يكذب ولا يداهن وقلب نقي تقي موصول بالله رب العالمين ، (ولا نزكي على الله أحداً) .

فَقَدَ نور بصره في صغره ، فوهبه الله نور بصيرة ، ورقة إحساس ، وسرعة خاطر ، وألمعية ذهن ، وسعة علم ، وقوة إدراك ، وشلة تمييز .

يقول الدكتور إبراهيم أبو الخشب معلقاً على ذلك :

"وهي أمور إذا توافرت للأديب كان عبقرياً خلاقاً ، يبدع القول ، ويأسر اللب ويجود بأطيب الكريم من القول ، والرائع الأخاذ من الأحاديث ، والنبي الكريم ﷺ حينما كان يقول : **"إن من البيان لسحراً"** (١) .

كان يرسم لنا خطاً من خطوط هذا الأسلوب الذي نريده والمنهج الذي نهدف إليه .

(١) أخرجه مالك : كتاب "الأم" باب ما يكره من الكلام ، والبخاري كتاب "الطب" باب إن من البيان لسحراً ، وأبو داؤد كتاب "الأدب" باب ما جاء في المتشدق به من الكلام ، وله شواهد أخرى كالحديث الذي رواه الترمذي في كتاب "الأدب" باب ما جاء إن من الشعر حكمة .

وكان الرجل عبقرياً بحق يأسر اللب والقلب ويحظى بالإعجاب والحب معاً - وجاء أدبه كالظل الوارف يستظل به المكدود ، ويستريح إليه العاني ، والنغم الحبيب الذي يصغي إليه الشارد ، واللغة المشتركة التي يتنازعها ويفخر بها القريب والبعيد .

وليست تسميته بأعجوبة الشرق من عندنا .. بل هي تسمية جاءت في إحدى رسائل فيلسوف الإسلام الأديب الكبير الدكتور محمد إقبال إلى الداعية المسلم الطبيب الأديب المصري العلامة الدكتور زكي علي نزيل "جنيف" بسويسرا منذ عام ١٩٣١م ؛ حيث يقول فيها : "ثم لما قضيت مع رسالتك حاجتي التي أتوق للحصول عليها ، ألا وهي سيرة من سميته حقاً وصدقاً معجزةَ الشرق الكاتب الضرير العبقري الملهم ، والنير البصيرة العلامة الشاعر المطبوع الشيخ الصاوي شعلان" (٣) (استبدلنا كلمة أعجوبة بكلمة معجزة في عنوان المقال لأن البعض قد يعترض عليها) .

فهيا بنا نتعرف على معالم من حياة هذا الضرير العبقري الأعجوبة ، الذي لا يوف حقه (ولا شيئاً من حقه) كسائر العباقرة .

🕮 مولده ونشأته وتعليمه :

ولد يرحمه الله في قرية من ريف من مصر هي قرية "سبك الأحد" من أعمال مركز "أشمون" بمحافظة المنوفية بمصر في مطلع

(٢) تاريخ الأدب العربي الحديث (بتصرف) ، الدكتور إبراهيم أبو الخشب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ط/٤ ، سنة ١٩٩٢م) .

(٣) من أعلام الدعاة في أوربا العلامة الدكتور زكي علي داعياً نجيباً وعالماً طبيباً وكاتباً أديباً ، بقلم/عبد اللطيف الجوهري (مكتبة عالم المعرفة ، جدة ، ط/١ ، عام ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) .

القرن العشرين أي عام ١٩٠١م ، وقد ابتلاه الله بفقد والده فنشأ يتيماً ثم ابتلاه بفقد بصره منذ الطفولة المبكرة ، ولكن الله تبارك وتعالى رعاه وأفاض عليه ما أدخره له من عوض وعطاء رفعه إلى مصاف العباقرة الذين يشار إليهم بالبنان ، حتى علقت "جريدة المصري" القاهرية على لقائه بالسيدة هيلين كيلر ، العمياء البكماء الصماء معجزة أمريكا بقولها :

"معجزة أمريكا تلتقي بمعجزة مصر" وكان ذلك في أواسط القرن العشرين على وجه التقريب .

لم يجزع الفتى الضرير للمحنة التي أصابته مع شدتها وإنما تقبل قضاء الله بالصبر الجميل وعلق على ذلك بقوله : "إنه قد أدرك قيمة النعمة الكبرى في البصر وعرف المتاعب التي يعانيها المكفوف في نفس الوقت" .

وقد أبى عليه إيمانه بالله ونفسه الطموحة وعزيمته القوية أن يؤثر الانكفاء والانطواء على النفس وتجرع الحسرة تلو الحسرة ، ويحيا حياة المستكين المقهور .

لذلك غادر قريته - في ريف مصر - ورحل إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر الشريف كأقرانه سواء بسواء .. وقد بدت عليه علامات النبوغ المبكر ، فكان مدرس مادة التجويد الشيخ السيد سابق محمد السبكي يعهد إليه بتعليم المبتدئين من الطلاب .

وقد أظهر من الجد والصبر في طلب العلم ومذاكرته ما أعانه بتوفيق الله على اجتياز مراحل الدراسة بالأزهر بنجاح باهر حتى حصل على شهادة "العالمية" التي تحمل البراءة من الملك فؤاد ملك مصر في ذلك الوقت :

"إلى حضرة الشيخ الصاوي علي شعلان ، بناء على ما أقره مجلس الأزهر الأعلى في ١٤/من ربيع الثاني سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٦/من أغسطس سنة ١٩٣١م من نجاحه في شهادة العالمية" .

ومن عجيب أمره أنه لم يقنع بدراسة العلوم الأزهرية بل اتجه إلى دراسة اللغات : الفارسية والأردية والإنجليزية بمساعدة زملائه الوافدين للدراسة بالأزهر من البلاد التي تتكلم هذه اللغات ، وقد أعانه على ذلك ما حباه الله به من سرعة خاطر وألمعية ذهن وقوة إدراك وشدة تمييز .

بل أراد أن يساعد نفسه بنفسه فاتجه إلى تعلم الكتابة والقراءة بطريقة الحروف البارزة المعروفة بطريقة "برايل" مستعيناً بأحد المدرسين الخصوصيين ، الذي كان يدفع له ما يحصل عليه من أجر زهيد مقابل تعليمه للآخرين ، ولما رغب في شراء المسطرة الخاصة بالكتابة البارزة للمكفوفين وهي الوحيدة لدى أستاذه كان ثمنها هو كل ما أدخره من مال فدفعه إلى الأستاذ وبقى يومين على الطوى (٤) .

ولما كانت نفسه تواقة إلى معالي الأمور فإنه لم يقف عند شهادة العالمية ، بل رغب في المزيد من العلم متمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ : رَّبِّ زِدْنِيْ عِلْماً ﴾ (طه/١١٤) .

فولي وجه شطر الدراسة العليا بجامعة القاهرة وساعده على

(٤) العلامة الصاوي على شعلان نابغة الشرق شاعر القيثارة الإيمانية ، دراسة للأستاذ عبد اللطيف الجوهري نشرت في ملحق صحيفة المدينة المنورة - السعودية في عددي ، ١٠-١٧/ من جمادى الأولى ١٤١٣هـ ، والحقيقة أفادتنا هذه الدراسة كثيراً في هذه الفترة من حياة الرجل حيث لم نعثر على مصدر سواها .

ذلك صديقه الدكتور عبد الوهاب عزام حيث ألحقه بمعهد الدراسات الشرقية، وقد جمع بين الرجلين حب الإسلام وحب فيلسوف الإسلام الدكتور محمد إقبال والإعجاب بشعره وترجمته إلى العربية.

واصل الشيخ دراسته بالمعهد المذكور آنفاً للحصول على درجة الدكتوراه ولكن ظروفاً خارجةً عن إرادته منعته من التقدم للامتحان للحصول عليها (٥).

ولئن كان ذلك العبقري لم يحصل على الدكتوراه فقد أصبح - بفضل الله - موضوعاً للماجستير والدكتوراه حيث قدم الباحث على عمار العربي بقسم الأدب والنقد بحثاً إلى كلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة عن العلامة الصاوي علي شعلان شاعراً للحصول على درجة الماجستير (لم نجد تاريخ هذه الدراسة على وجه التحديد في المصدر الذي رجعنا إليه).

عمله وجهاده في مجالات متعددة:

عمل الرجل - بحكم وظيفته الرسمية - واعظاً بالسجون فنجح في تحويلها إلى دور للإصلاح والتهذيب كي لا تكون معاهد يتلقى فيها المسجونون المتبدئون دورات تدريبية في فن الإجرام والإبداع فيه على أيدي عتاة المسجونين المخضرمين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون،

(٥) العلامة الصاوي على شعلان نابغة الشرق شاعر القيثارة الإيمانية، دراسة للأستاذ عبد اللطيف الجوهري نشرت في ملحق صحيفة المدينة المنورة - السعودية في عددي، ١٠-١٧/ من جمادى الأولى ١٤١٣هـ، والحقيقة أفادتنا هذه الدراسة كثيراً في هذه الفترة من حياة الرجل حيث لم نعثر على مصدر سواها.

ثم يخرج هؤلاء المبتدئون من السجن أوسأ مما دخلوه أول مرة !!

لقد كان لدروسه للمسجونين أطيب الأثر في حياتهم داخل السجن وخارجه حيث غرس فيهم حب الإسلام والتخلق بأخلاقه و مخافة الله والحرص على الصلوات المكتوبة في وقتها، ولكنه يرحمه الله، لم يكتف بهذا العمل المحاط بأسوار السجن وأسلاكه الشائكة فصمم على الخروج إلى ساحة المجتمع الواسعة، وقد كان له ما أراد حيث بذر بذور الخير بتأسيس جمعية "النور" في حي الزيتون بمدينة القاهرة وقد اختار لها هذا الاسم وجعل رسالتها هي الاهتمام بالمكفوفين وإصلاح شأنهم حتى لا يكونوا عالة على المجتمع.

ثم اتجه إلى الدعوة والثقافة الإسلامية فكان يحاضر في المنتديات ويلقي عظاته ودروسه بالمساجد فالتف حوله محبوه من جميع الطبقات.

ثم عمل مديراً لمجلة "مكارم الأخلاق" الإسلامية القاهرية التي جعل منها ميداناً للتوجيه الهادف والإرشاد إلى عظمة الإسلام والتخلق بأخلاقه والحث على فعل الخيرات والمسارعة إليها حتى يكون لها من أسمها أكبر نصيب.

نشاطه العلمي والأدبي:

وهذا هو بيت القصيد - كما يقال - في حياة ذلك العبقري.

إن المتتبع لآثار هذا الرجل العلمية والأدبية يكابد مشقة لا حد لها لندرة الكتابة عنه، وهذا غمط لحقه وجحود لفضله سواء كان ذلك في حياته أو بعد انتقاله إلى جوار ربه تبارك وتعالى، وكان الواجب على أهل الفضل من العلماء والأدباء أن يعرفوا الفضل لأهله وأن يضعوه في المكان اللائق به بين العباقرة الذين يصلحون أن يكونوا قدوة للناس .. ولكن: وما بعد ولكن معروف ... !!

ولعله - يرحمه الله - استشعر ذلك في حياته فتسمعه يقول - في أسى - :

"إن من أعظم النكبات في الأمم الشرقية ، أنه لا يكاد المصلح يبدأ رسالته حتى تنجم النواجم من أمته ، وتدب العقارب من أبناء جنسه لعرقلة خطواته وإضاعة مجهوداته وتأخير غاياته ، فبينما هو يبذل من ماله وجهده ويحرق نفسه بخوراً لأمته إذا بالصيحات تعترضه من كل مكان وتخنق أنفاسه ، وفي أمم الغرب لا تكاد تلمع بارقة العبقرية في نابغ منهم حتى يرفعوه إلى السماك الأعزل ويهيئوا له الأسباب ويقذفوا عليه الثروة التي تمكنه من الفراغ لأداء رسالته ، بينما تُخنق العبقرية في الشرق من فجر مهدها وترى قبل شروق الحياة مغرب لحدها" (٦) .

وقد ذكر الأستاذ عبد اللطيف الجوهري في دراسته التي أشرنا إليها أن الرجل أصدر ديوانين ؛ أحدهما بعنوان : **"وحي الإيمان"** عام ١٩٧٥م وأهداه إلى رسول الله ﷺ ، والآخر بعنوان : **"إيوان إقبال"** الذي نشرته السفارة الباكستانية عام ١٩٧٧م بمناسبة مرور مائة عام على مولد إقبال .

ولقد ساعده على هذا العمل رجلان فاضلان أحباه وتعلقا به منذ الثلاثينيات من القرن العشرين ، وهما : الشيخ عبد الحكيم محمد نور الدين ، والشيخ محمد الليثي علي محمد ؛ جزاهما الله خيراً .

ولم يذكر صاحب الدراسة الجهة المسئولة عن طبع وتوزيع هذين الديوانين ولعله لو ذكرها ، لأسدى خدمة كبيرة إلى الباحثين عن آثار هذا الرجل .

---

(٦) المرجع السابق .

وكان على كاتب هذه السطور أن يبحث عن نماذج من آثار ذلك العبقري يقدمها للقراء ، ولكنه كلما سأل عن ديوانه في مكتبة من المكتبات وقف صاحب المكتبة أمامه مندهشاً كأنه يكلمه باللغة الأردية ! وبعد رحلة طويلة من البحث لم يرجع منها ولو بخفي حنين ، لم يجد أمامه إلا أن يولي وجهه شطر مجلة "البريد الإسلامي" فقد كان الرجل من أبرز كتابها منذ عام ١٩٤٥م حتى توقفت بسبب قانون الإعلام عام ١٩٩١م ، وقد شرف كاتب هذه السطور بالتعرف عليها والخدمة فيها زهاء عشرين عاماً ، فبدأ يراجع أعدادها منذ ذلك التاريخ بلحثاً ومنقباً عن بغيته .. فإذا به يقع على كنز ثمين من كنوز الأدب يضم جواهر من عيون النظم والنثر في تلك المجلة التي خدمت الإسلام في صمت وصبر واحتساب ، ورحل صاحبها في صمت كذلك .

لقد وجد للرجل أكثر من خمسة وثلاثين أثراً يمكن تقسيمها كما يلي :

١- قصيدة شعرية من نظمه - يرحمه الله - .
٢- قصيدة شعرية ترجمها عن الفارسية والأردية .
٣- مقالة دينية تشرح حديثاً نبوياً .
٤- مقالة تاريخية تتحدث عن الأبطال من رجال الإسلام الأوائل .
٥- مقالة اجتماعية تعالج مرضاً اجتماعياً أو انحرافاً خلقياً على هدى الإسلام .
٦- مقالة مترجمة عن الفارسية والأردية .

وكان مؤسس "البريد الإسلامي" المهندس محمد توفيق أحمد

الداعية الإسلامي الكبير على أطيب الصلات بـالرجل فقـد جمعـهما الحب في الله والعمل الجاد الدءوب لخدمة الدعوة إليه تبارك وتعالى .

والعجب الذي لا ينقضي منه العجب ! أن الرجـل عـالج هـذه الفنون من الأدب ، وتنقل بينها وما كبا له جواد ، بل كان قلمه سـلس القياد ثابت الفؤاد بليل المداد ، فهو فيـها جميعـاً آيـة مـن آيـات الله في العبقرية والصفـاء الذهـني ، والتنسـيق البيـاني ، والسـمو الروحـي ، والإشراق القلبي فجاءت كلماته كأنها مطـالع أسـرار ومشـارق أنـوار لأولى البصائر والأبصار .

📖 **وهاك - أخي القاري - بعض النماذج :**

أولاً : نموذج مـن شـعره الـذي نظمـه وهـي قصيـدة بعنـوان : "مناجـاة" وهـي مناجـاة ضارعـة خاشـعة دامعـة .. تبكيـك إذا رددتـها يتحدث فيها عن أنسه بربه وعن نعمه العظيمة على أنبيائه وأنه هـو وحده النافع الضار وما دونه أعجـز مـن أن ينفـع نفسـه ، بلْـه غـيره ، يقول يرحمه الله :

بالله إيمـاني و فيـــه رجائـــي
و إلى علاه ضراعتي و دعـــائي
يا مؤنسي في وحدتي يا منقـــذي
فـــي كربتي يا سامعاً لنـــدائي
أنا إن دجا ليلي و طال ظلامـــه
نـاديت يـا رب فكنت ضيـائي
إن لـم تكـن بك للغريب هداية
طـال الطريق على الغريب النائي
أنا قـــاصر عن وصف ما أوليتني
يـــا رب مـن نعم و مـــن آلاء

إلى أن يقول :

بـــدلت في الجنـــات وحشة آدم
بالبشر و الإيناس فـــي حـــواء
وصفا لأم الأمهـــات نعيمهـــا
و عروس جنتهـــا أبـــو الآباء
أسكنت نـوحاً فـي السفينة آمناً
و نصـــرته بالماء فـــوق المـــاء
و ضمنت فـــي نار الخليل سلامه
فكأنه فـــي روضـــة غنـــاء
و حفظت خير الأنبيـــاء محمـــد
فـــي غار ثـــور بعد غار حـــراء
هـــو آخـــر في المرسلين ببعثـــه
هـــو أول فـــي الرتبة العليـــاء

ثم يقول :

فقـــري إليك أعده كنز الغنـــى
و أرى ثراء العز فـــي استغنـاء
مـــاذا يؤمل عاجز فـــي عاجـــز
مـــا يصنع الضعفاء للضعفـــاء
شهدت يدى بالفضل منك و أنهـــا
لسواك مـــا مُـــدت لنيل رجـــاء
يا سامع الدعوات فـي جنح الدجى
فـــرج كروبي و استجب لرجائي

(يتبع)

الدعوة الإسلامية :

أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور حافظ أبو نعمان محمد إرشاد الله
(أستاذ مشارك ، قسم القرآن والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية - بنغلاديش)

٤- موقف الحديث الشريف في بيان أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى :

• بيان كيفية استعمال صفة "الرب" للناس :

قد وردت حدود معينة في استعمال صفة **"الرب"** للناس في الحديث الشريف ، حيث قد ورد النهي عن إطلاق كلمة الرب على المولى والسيد والمالك لعبده وأمته ؛ كما روى أن النبي الكريم ﷺ قال : لا يقل أحدكم : اطعم ربك وضى ربك ، وليقل : سيدي ومولائي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل : فتائي وفتاتي وغلامي (٤٤) .

• ورود صفة "الرب" في سؤال القبر أولاً :

قد وردت في الحديث الشريف صفة **"الرب"** في سؤال كل أحد من بني آدم عن ربوبية الله تعالى أولاً في القبر بعد الموت ، ويدل عليه الحديث الذي أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ؛ حيث يقال فيه : ... فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ، ويقولان له من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ... إلخ (٤٥) ، وكذلك حديث العوفى عن ابن عباس رضي الله عنه وحديث ابن أبي حاتم عن أبي قتادة الأنصاري يشهدان لذلك (٤٦) .

(٤٤) الجامع الفريد : ص/١٩٤ (مطبعة المدينة - الرياض) .

(٤٥-٤٦) حافظ عماد الدين ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (دار القرآن الكويم - بيروت ، ط/٧ ، ١٩٨١م) : ج/٢ ، ص/٢٩٧-٢٩٩ .

• الأدعية المذكورة بصفة "الرب" :

قد ورد في الحديث الشريف التحريض والتشويق على الدعاء إلى الله تعالى بصفة "الرب" ، ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها : إذا قال العبد : يا رب يا رب يا رب ، قال الله تعالى : **"لبيك عبدي سل تعط"** (٤٧) ، وكذلك وردت أدعية مأثورة كثيرة في الحديث استعملت فيها صفة "الرب" نحو .

جاء في الحديث : اذنب عبد ذنباً ؛ فقال : أي رب أصبت ذنباً ؛ فاغفر لي ، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم اذنب آخر ، فقال : أي رب أصبت ذنباً ؛ فاغفره لي ، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أذنب ذنباً ؛ فقال : أي ربي ، أصبت ذنباً ؛ فاغفره لي ، فقال الله : **"علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، فقد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء"** (٤٨) ، وقد صنف في هذا تقي الدين أحمد بن تيمية كتاب الخاص : **"الكلم الطيب"** ، توجد فيه أدعية كثيرة ذكرت فيها صفة الله تعالى **"الرب"** كثيراً (٤٩) .

• إثبات علاقة الناس مع الله تعالى :

قال الرسول الأعظم ﷺ : **"إلا دمي بنيان الرب ، ملعون من هدم بنيان الرب"** (٥٠) ، وقال علي رضي الله عنه : **"كفى بي فخراً أن أكون لك عبداً وكفى بي شرفاً أن تكون لي رباً"** (٥١) .

(٤٧) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن (دار الشروق-جدة ، ط/٥، ١٩٧٩م) : ص/١٤١-١٤٢ . (٤٨) أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ، الفوائد (مكتبة نذار مصطفى الباز-مكة ، ط/١) : ص/٢٣ . (٤٩) تقي الدين أحمد ابن تيمية : الكلم الطيب (مكتبة الحياة - بيروت) : ص/٢٤ .

(٥٠) فخر الدين الرازي ، المرجع السابق : ص/٢٥١ . (٥١) أيضاً : ص/٢٣٢ .

٥- آراء العلماء والفقهاء والمفسرين في بيـان أهميـة التوحيـد في ربوبية الله تعالى :

إن علماء الإسلام والمسلمين ، وفقهائهم ، ومفسريهم ، قد ذكروا أقوالهم المختلفة الثمينة ، وآراءهم الغالية في كتب مختلفة ، التي كلها تدل على اهتمامهم الكبير في بيان أهمية ربوبية الله تعالى ، وأقوال بعضهم كما يلي :

قال الطبري : فربنا جلّ جلاله ... المالك الذي له الخلق و الأمر (٥٢) .

قال الزبيدي : الرب هو الله ﷻ ، وهو رب كل شئ أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق ولا شريك له ، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك (٥٣) .

قال سيد قطب : إن الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا يعلنون أمام الناس ربوبية الله تعالى وحده ، وذلك لأن الطاغوت إنما يقوم في الأرض مدعياً للربوبية أولاً أي بحق تعبيد الناس لأمره وشرعه ودينونتهم لفكره وقانونه (٥٤) ، ولأن نظام الحكم في الجاهلية يقوم على ربوبية عبد من العبيد لبقية العبيد بينما الدعوة إلى رب العالمين تعنى أن تكون الربوبية على العبيد لخالق العبيد (٥٥) دعوة الإسلام على أيدي الرسل - جميعاً - إنما ستهدف تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين ، وتنحية الأرباب الزائفة التي تغتصب حقوق الألوهية

(٥٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : المرجع السابق : ص/٤٧ .
(٥٣) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس (مكتبة الحياة - بيروت ، ط/١ ، ١٣٠٦هـ) : ص/٢٦٠ . (٥٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (دار الشروق - بيروت ، ط/١١ ، ١٩٨٢م) : ص/١٩١٩ . (٥٥) المرجع السابق : ص/١٢٣٦.

وخصائصها ، وتزاولها في حياة الناس ، وما كانت هذه الأرباب المستخفة للجماهير لتدع كلمة الحق والهدى تصل إلى هذه الجماهير ، ما كانت الإعلان العام الذي يحمله الإسلام بربوبية الله وحده للعالمين وتحرير رقاب البشر من العبودية للعباد ... ما كانت لتدع هذا الإعلان العام ليصل إلى الجماهير وهي تعلم أنه إعلان بالثورة على ربوبيتهم ، والانقلاب على سلطانهم والانقضاض على ملكهم والانطلاق إلى فضاء الحرية الكريمة اللائقة بالإنسان (٥٦) ، إن المراد بإعلان ربوبية الله تعالى هو نزع السلطان والحاكمية والدينونة من أيدي الناس وإقامة مملكة الله في الأرض بهدم مملكة البشر في كل صورها ، وأشكالها ، وأنظمتها ، وأوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور (٥٧) .

إن رد الربوبية كلها لله سبحانه معناه رد الحاكمية كلها له فالحاكمية هي مظهر ربوبية الله للناس ... فلا يكون الناس معترفين بربوبية الله لهم إلا إذا خضعوا له وحده ، وإلا إذا خلصت عبوديتهم لهذه الربوبية أو بتعبير آخر لهذه الحاكمية وإلا فقد أنكروا ربوبية الله لهم متى خضعوا لحاكمية أحد غيره لا يحكمهم بشرعه (٥٨) .

وقال أيضاً : لأن التوحيد في ربوبية الله تعالى يعني التوحيد في الحاكمية والقوامة والدينونة لله وحده لا يمكن أن توجد في حالة الشرك بالله تعالى في الأمور المذكورة ، وهذه هي القاعدة الدينية المعتبرة ، بأن ينقذ البشرية ويطهرها أولاً من دنس الشرك وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة ، وترجع إليها التكاليف ، والفرائض ، وتستمد منها الحقوق ، والواجبات ... والقاعدة التي يجب أن تقوم أولاً

(٥٦) المرجع السابق : ص/١٨١٤ . (٥٧) المرجع السابق : ص/١٤٣٣ .
(٥٨) المرجع السابق : ص/١٢٣٠ .

في الدخول في الأوامـــر والنواهـــي وقبـــل الدخـــول في التكـــاليف والفرائض ، وقبل الدخول في النظـام والأوضـاع ، وقبـل الدخـول في الشرائع والأحكام ... يجب ابتداء أن يعترف الناس بربوبية الله وحـده لهم في حياتهم كما يعـترفون بألوهيتـه في عقيدتـهم لا يشـركون معـه أحداً في ألوهيته ، لا يشركون أحـداً في ربوبيتـه كذلـك ، يعـترفون لـه وحده بأنه المتصرف في شئون هذا الكون في عـالم الأسـباب والأقـدار ، ويعترفون له وحده بأنه المتصـرف في حياتـهم وجزائـهم يـوم الديـن ، ويعترفون له وحده بأنه هو المتصرف في شـئون العبـاد في عـالم الحكـم والشريعة كلها سواء (٥٩) ، فتاريخ الأنبياء والرسـل وتـاريخ الجاهليـة عبر القرون هو تاريخ المعركة بينهما في تعيين الربوبيـة للنـاس (٦٠) ، ولهذا جاء جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام بـالدعوة إلى ربوبيـة الله تعالى أولاً لكي يدين الناس لله وحده بالربوبية (٦١) .

قال رياض صالح جنزرلي : ولهذه الأهداف أطـر محـددة وسمـات ترسم خطوطها ، فهي تبدأ في الدنيا وتنتهي في الآخرة ، تسـعى لربـط العبد بربه على أساس ربوبية الخالق ... والإيمان بالله سـبحانه وتعـالى في الإسلام يقوم على أسـاس التوحيـد : ﴿ قُـلْ : هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ * وَلَمْ يُوْلَدُ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُـواً أَحَـدٌ ﴾ والهـدف من هذا الإيمان تنظيم علاقة الفرد بربه على أساس من ربوبية الخـالق وعبودية المخلوق (٦٢) .

قال الدكتـور عباسـي مدنـي : فأمـا علاقتـه بربـه فتوحيـده في الربوبية وخصوصيته في العبادة لله وحده لا شـريك لـه ، والطاعـة لـه

(٥٩) المرجع السابق : ج/٣ ، ص/١٢٢٥. (٦٠) المرجع السابق : ج/٤ ، ص/١٨٥٢.
(٦١) المرجع السابق : ج/٤ ، ص/١٨٤٥ . (٦٢) مجلـة الجامعـة الإسـلامية ، المدنية المنورة ، العدد/٦٣ ، السنة ١٦ ، ١٤٠٤هـ : ص/٨-١٢ .

ولرسوله ﷺ في العمل بمـا أمـر ونـهي في نطـاق مـا حـدد في العقيـدة والشريعة ، من مفاهيم وأحكام وحكم ومواقف (٦٣) .

قال عبد الله بن محمد القرني : ومن هنـا نـدرك أن الأصـل في العلاقة بين المؤمن وربه أنها إرادة مبعثها المحبة والإجلال والتعظيم مـع الإقرار لله بالربوبية وعلى النفس بالعبودية ... يقول الإمام ابن القيـم عن حقيقة العلاقة بين العبد وربه إنه لا نسبة بين الله وبين العبـد إلا محض العبودية من العبد والربوبية من الرب وليس في العبد شئ مـن الربوبية ولا في الرب شئ من العبودية ، فـالعبد عبـد مـن كـل وجـه والرب تعالى هو الإله الحق من كل وجه (٦٤) .

قال فخر الرازي : اعلم أن المقامات محصورة في مقامين : معرفة الربوبية ومعرفة العبودية ، وعند اجتماعهما يحصل العـهد المذكـور في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوْا عَهْدِيْ أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٦٥) .

قال مفتي عميم الإحسان : والرب مطلقاً لا يطلق إلا علـى الله تعالى وعلى غيره بالإضافة نحو رب الدار (٦٦) .

قال العلمه : و لا يجوز اسـتعماله بـالألف والـلام للمخلـوق بمعنى المالك لأن اللام للعموم ، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات (٦٧) .

(٦٣) الدكتور عباسي مدني : أزمة الفكـر الحديـث ومـبررات الحـل الإسـلامي (مكتبة المنارة - مكة المكرمة) : ص/٢٩ .
(٦٤) عبد الله بن محمد القرني : ضوابط التفكـير عنـد أهـل السـنة والجماعـة (مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط/١ ، ١٩٩٢م) : ص/٣٢ .
(٦٥) فخر الدين الرازي : المرجع السابق : ص/٢٥١ .
(٦٦) مفتي محمد عميم الإحسـان : مجموعـة قواعـد الفقـه (مكتبـة مـير محمـد - كراتشي) : ص/٣٢ .
(٦٧) أحمد بن محمد علي المقرئ : المصباح المنير (دار الفكر) : ص/٢١٤ .

قال السيد محمد بن علوي: فـلا ينبغـي أن نلتفـت إلى إنكـار المنكرين بأن الأنبياء والمرسلين ما جاءوا بالدعوة إلى توحيـد الله تعـالى بالربوبية لأن الناس كانوا في غنية بيانها، قائلين بأن الأنبياء والرسـل ما جاءوا إلا بتوحيد العبـادة والإلهيـة فقـط، لأن هـذا مخـالف للآيـات القرآنية الصريحة؛ قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوْا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَانَـهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ * وَالْمَسِيْحَ بْنَ مَرْيَمَ ﴾ وكذلك مخالف لأول سؤال واقـع في القبر (من ربك) حيث إن كل كافر ومشرك لا يستطيع الإجابة عنـه بل يقول: هاه هاه لا أدري، ولم يثبت هنـا أن الكـافر والمشـرك ينتفـع بإقرار ربوبية الله في الدنيا، ويجيب عـن ذلـك السـؤال يقـول: (ربـي الله)، فثبت بهذا أن كل كافر ومشرك يعد مـن المنكريـن لربوبيـة الله تعالى، وكذلك مخالف لآراء كثير من العلماء المسلمين (٦٨).

📖 خاتمـــة:

فحاصل الكلام أن التوحيد عاماً، وكذلك التوحيد في ربوبيـة الله تعالى خاصاً لهما أهمية كبرى في الإسلام، فكل مـن أراد أن يكـون مؤمناً خالصاً ومسلماً حقاً أن يوحد الله تعالى في ربوبيته أولاً وقبل كـل شئ حتى يكون الله سبحانه وحده هو المشرع الوحيد له لكي يمكن لـه الامتثال بأوامره تعالى، والاجتناب عن نواهيه، لأن من اتخـذ مـن دون الله تعالى رباً آخر من الأحبار والرهبان تكون تلـك الأحبـار والرهبـان هم المشرعين له فيحلون حـرام الله تعـالى ويحرمـون حـلال الله تعـالى، واتباعه إياهم هو يعد عبادة لهـم مـع أن الله تعـالى إنمـا خلـق الإنسـان لعباده نفسه وحده؛ فقال تعـالى: ﴿ وَمَـا خَلَـقْتُ الْجـنَّ وَالإِنْـسَ إِلاَّ لِيَعْبُـدُوْنَ ﴾ فـاسأل الله تعـالى التوفيـق والعـون لأن أكـون مخلصـاً في ربوبيته تعالى وخالصاً في عبادته ﷻ.

(٦٨) السيد محمد بن علوي المالكي الحسني "هـو الله" (خـادم العلـم الشـريف بالبلد الحرام): ص/٥٦-٦٠.

السلبية والإيجابية وجهاً لوجه

بقلم: الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

رغم أننا كثيراً مـا كنـا نفتخـر بامتلاكنـا لحضـارة مـن القيـم الإنسانية والروحية النبيلة، حيث يطلق علينا أحياناً مصطلح شـعوب روحية، وذلـك لكوننـا نتمسـك بـالقيم الدينيـة، ونعلـي مـن شـأن الأخلاق، في حين أن الغرب قد ترك الدين والأخلاق، وحقق طفرات واسعة على مستوى الحضارة المادية والتكنولوجيـة، وقـد كنـا نواسـي أنفسنا وما نحن فيه من تخلف مادي وعلمي وتكنولوجي، بإعلاء شـأن منظومتنا من القيم والأخلاق، ولكن يبدو أنه حتى هذه المنظومة الـتي كنا نتباهى بها، قد أصابها العطب والخلل وبدأت تتصـدع أركانـها، وأحد تلك الأركان هو قيم كنا نعتز بها مثل الشهامة والنخوة والمروءة والألفة والمحبة والتعاون على البر والنجدة ونصـرة المظلـوم والوقـوف في وجه الظالم، وترعرعت فينا بـدلاً منـها قيـم غريبـة عنـا أثمـرت في شخصنا ما يسمى بالسلبية، ومع ذلك كله لا نستحي من أنفسنا حين نتغنى بمآثرنا وتمسكنا بقيمنا وادعائنا بأننا الأفضل على الدوام.

و تعـرف الشـخصية السـلبية علميـاً بأنـها الشـخصية "الأنامالية" انطلاقاً من القول الشـائع "وأنـا مـالي" وصـاحب هـذه الشخصية يعيش بعيداً عن شئون مجتمعه، غاضاً بصره عما يحيط بـه، معتزلاً الأحداث كبرت أم صغرت، غير ناظر إليها إلا بمقدار ما يصيبه فيها من خير أو شر، ليس مهتماً إلا بما يصل إليه مـن جـدوى، ولـو

كان الناس في محن وفتن ، متصوراً أن هـذا الأسـلوب كفيـل بحمايتـه ، ومنع أي مخاطر أو أضرار عنه ، ودرء أي مشاكل يمكن أن تلحق بـه في حالة المشاركة أو الإقدام على مساعدة الآخرين ، فمثلاً قد يشاهد لصاً يسرق ولا يحاول منعه أو تنبيـه ضحيتـه ، وقـد يجـد مـن يتعـدى علـى الحرمات ولا يحرك ساكناً ، وإذا مر بمنكر أو فاحشة أصم أذنيه وأغمض عينيه ، وقد يجد مصاباً على الطريق صدمه سائق أرعن بسيارته ، وقـد أوشك على الموت ، فيكون رد فعلـه أن يسـير مبتعـداً ، ولسـان حالـه يقول : "وأنا مالي" أو "أبعد عن الشر وغني له" ، وأصبح من المعتـاد أن يشاهد شيخاً كبيراً أو سيدةً مسنةً أو مريضاً يقف في وسيلة انتقـال كالأتوبيس أو المترو في الوقت الذي يجلس فيه وهو معـافى ولا يـرأف بحال أي من هؤلآء ، ويجلسهم مكانه رحمـةً وإكبـاراً ، وقـد يطلـب منـه مظلوم أن يشهد له بما رآه فيعتذر عن ذلك متعللاً بالخوف من الدخول في مشاكل مع الخصوم ، ومن مواقفه السلبية أيضاً انصرافه ومـن هـو على شاكلته ، كل فيما يخصه عن الإدلاء بصوتهم في الانتخابات سواء كانت تشريعية أو رئاسية أو انتخابـات النقابـات واتحـاد الطـلاب أو غيرها من كافة أنواع وأشكال الانتخابات ، والهروب من الدفـاع عـن الأهل والوطن والعقيدة ، فطالما نأى خاصة أهل الفرد منـهم ومسـكنه عن منابع الخطر فلا عليه أن يموت غيره من الناس ، وهو أسعد الناس ما دام قد سلم من هذه المهلكات أو الشرور ، بل قد يبارك كل ضر مـا دام بعيداً عنه ، بل تعدت سلبيتنا هذه الأحـداث الفرديـة ، و وصلـت إلى مستوى الشعوب ، فقد أصبحنا مطية لغيرنا من الأمم ، يفعـل بنـا ما لا يتحمله بشر من إذلال وقهر وقتل وتشريد ، ولسنا بفاعلين بأحد من شئ ، ويكون رد فعلنا دائماً هو الصمت والصمـت التـام ، وهـذا

هو قمة السلبية وإضافة جديدة لها .

والسلبية سلوك مذموم نهى عنه الإسلام لأنه يتعارض مع كـل قيم الإسلام وتعاليمه التي تحـث علـى التعـاون علـى البـر والتقـوى والتسابق إلى الأعمـال الصالحـة وفعـل الخـيرات ، وهـي ليسـت مـن الإسلام في شـئ وأن السـلبيين المتقاعسـين يخـالفون قواعـد الإسـلام وثوابته ولا يقبل منهم ادعـاؤهم الكـاذب إلى الإسـلام مـهما أصـروا على ذلك وأقسموا ، والفرد السلبي آثم ويرتكب إثماً مع كـل موقـف سلبي يتخذه ، ومع كل تقصير من ناحيته في القيام بما أمره به الإسـلام في حق أخيه المسلم وحق مجتمعه ، وهو في نظر الإسـلام يعتـبر مكذبـاً بالدين ومسئولاً مسئولية عظمى أمام الله تعالى ، ويعرض نفسه للويـل والعذاب ، لأن الله ﷻ أنذر من يمتنع عن مسـاعدة الآخريـن بـالويل ، وهناك نص قرآني صريح يؤكد ذلـك ، قـال تعـالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِيْ يُكَذِّبُ بِالدِّيْنِ * فَذَلِكَ الَّذِيْ يَدُعُّ الْيَتِيْمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْنَ * الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُوْنَ * الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاءُوْنَ * وَيَمْنَعُوْنَ الْمَاعُوْنَ ﴾ سورة الماعون .

وعلى النقيض من ذلك نجده في الإيجابية والشخص الإيجـابي : فالإيجابية صفة يأمرنا بها الدين ويحضنا عليها ، فالعمل الإيجـابي يعـود على المجتمع بالخير ، ولأن مصطلح الإيجابية جديد على الساحة نوعاً ما فإن الاطمئنان إلى تأصيله الشـرعي واللغـوي يصبـح ضـرورة حتـى لا يفلجأ الواحد منا بواحد من المتحذلقين يقف له في مجلس مـن مجـالس أو مناسبة من المناسبات يطالبه بهذا التأصيل أو ينكر عليـه اسـتعمال هذه الكلمة بحجـة غرابتـها أو عـدم صحتـها في القـاموس العربـي ، فالإيجاب في اللغة هو الموافقة والقبول ، وهو يقابل السـلب والنفـي ،

ومادة الفعل "وجب" ومضارعه "يجيب" من قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيْبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل/٦٢)، والأمر منه أجب، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيْبُوْا دَاعِيَ اللهِ ﴾ (الأحقاف/٣١) ومنه اسم الله تعالى (المجيب) وجاوب الرجل أخاه إذا طاوعه و وافقه، ومصدر الفعل الإيجاب والمجاوبة، أما عن الأصل الشرعي للإيجابية فإننا لا نبالغ إذا قلنا: إن الإيجابية هي الحياة أو هي الدين كله، فالدين لم يقع في الأرض على السلبية والخمول والتقاعس والكسل، وإنما قام من أول لحظة على الإيجابية منذ أن خاطب الله نبيه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ * فَأَنْذِرُ ﴾ (المدثر/١-٢) وخاطبه من قبل ذلك بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيْلاً ﴾ (المزمل/١-٢) وعلم نبيه كيف يدعو الناس إلى الله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اسْتَجِيْبُوْا للهِ وَلِلرَّسُوْلِ * إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ ﴾ (الأنفال/٢٤)، وقوله سبحانه: ﴿ اسْتَجِيْبُوْا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَّلْجَأٍ يَّوْمَئِذٍ وَّمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيْرٍ ﴾ (الشورى/٤٧) ولو ذهبنا نستقصي ما ورد في القرآن الكريم دالاً على الإيجابية والمسارعة إلى الخيرات، لأعيانا الحصر، لأن هذا الأمر هو الأساس في دعوة الرسل جميعاً، وهذا يعني أن الإيجابية ليست دعوة إلى شئ مفقود لنوجده، إنما هي دعوة إلى الموجود من أوامر الدين، لنفعله ونعيشه ونحققه، وهي ما يعني من جانب آخر أن هؤلاء المدعوين إلى الحركة، ساكنون بغير داع إلى السكون، وخاملون بغير مبرر للخمول، وخامدون بينما الناس في الدنيا كلهم يتحركون.

فالإسلام يغرس في نفس كل مسلم روح الإيجابية والتي تغنى علو الهمة والاجتهاد وينأى به عن السلبية، والتي تعني التكاسل والقعود عن الازدياد، وقد وجه القرآن الكريم نظر كل مسلم إلى أن

يكون إيجابياً في فعل الخير، بحيث يندفع إليه دون انتظار لمعونة أحد، أو اعتماد على قيام الغير به، يقول الله تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ * وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ * عَسَى اللهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا * وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً * وَّ أَشَدُّ تَنْكِيْلاً ﴾ (النساء/٨٤) فهذه الآية الكريمة تلفت نظرنا إلى أن المسلم ينبغي أن يتصرف على أساس أنه وحده المكلف بالأداء، فلا يعتمد على الغير، بل يؤدي ما عليه من واجب، ويحرض الآخرين عليه أيضاً، فإن استجابوا لدعوته فيه فبه ونعمت، وإلا فلا عذر له في القعود عن نصرة الحق وأداء الواجب.

جاء في تفسير القرطبي: "قال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وأن يقاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصرة"، قال ابن عطية: "هذا ظاهر اللفظ إلا أنه لم يجيء في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة، فالمعنى - والله أعلم - أنه خطاب له في اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه، أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له، فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك.

ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي الكريم ﷺ: **"فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي"**، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقت الردة: "ولو خالفتني يميني لجاهدتهم بشمالي".

وفي إشارة قرآنية أخرى ينفي القرآن الكريم التسوية بين المجاهدين والقاعدين، ما لم يكن ضرر يمنع القاعدين من الجهاد، وفي هذا يقول رب العزة: ﴿ لاَ يَسْتَوِيَ الْقَاعِدُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ غَيْرُ أُوْلِيْ الضَّرَرِ * وَالْمُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ * فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ دَرَجَةً *

وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى * وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ أَجْراً عَظِيْماً * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ * وَمَغْفِرَةً وَّرَحْمَةً * وَكَانَ اللهُ غَفُوْراً رَّحِيْماً ﴾ (النساء/٩٥) ، وبهذا يدفع الإسلام أتباعه إلى الإيجابية قياماً بالواجب وأداءً للفرض من جانب ، وطمعاً في الثواب ونيلاً للدرجات من جانب آخر .

وفي إشارة قرآنية أخرى يعيب القرآن الكريم على أولئك المتخاذلين عن نصرة الحق والمتباطئين عن تلبية النداء إذا جد الجد ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا مَا لَكُمْ إِذَا قِيْلَ لَكُمُ : انْفِرُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ * فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِيْ الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيْلٌ * إِلاَّ تَنْفِرُوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيْماً * وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ * وَلاَ تَضُرُّوْهُ شَيْئاً * وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (التوبة/٣٨) ، ويقول سبحانه : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ * فَمِنْكُمْ مَّنْ يَّبْخَلُ * وَمَنْ يَّبْخَلْ * فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَّفْسِهِ * وَاللهُ الْغَنِيُّ * وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ * وإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلُ قَوْماً غَيْرَكُمْ * ثُمَّ لاَ يَكُوْنُوْا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد/٣٨) ، ولا أحد يستطيع إنكار الإيجابية والشعور بالمشاركة والمبادرات الذاتية في دولة الإسلام الأولى متمثلة في نماذج من صحابة رسول الله ﷺ ، فمنذ اللحظة الأولى تبادر أم المؤمنين خديجة ، بمشاركة رسول الله ﷺ دعوته ، فتستمع إليه وهو يقص عليها ما رآه في غار حراء ، وتعيش بجوارحها كلها معه ، فتطمئنه وتهدئ من روعه ، وتبادر بالذهاب إلى من ترى لديه القدرة على التخفيف والوعي بالمشكلة وهو ورقة بن نوفل ، وتعود لتبشره وتسعده ، لينقلب خوفه أمناً ، وفزعه اطمئناناً ، وحزنه فرحة وسروراً ، وهذا هو أبو بكر يبادر بالاستماع إلى رسول الله ﷺ ، والإيمان بما جاء

به ، ويبادر بوضع ماله كله تحت تصرف الدعوة ، ثم يكون أول من يبادر ليساعد الضعفاء ويفك أسر المأسورين ويحرر العبيد والمستضعفين ، وعند الهجرة يكون أول من يسارع لطلب الصحبة مع رسول الله ﷺ ، وعند الإسراء والمعراج هذا الحدث الذي أذهل الجميع و وجد المشركون فرصتهم في التشكيك والفتنة ، يكون موقف الصديق ثابتاً كالجبل ، مبادراً بقطع داء الفتنة ، قائلاً : إن كان قال فقد صدق ، وفي الموقف العصيب الذي أذهل العقلاء وحير الحكماء ، وهو موت رسول الله ﷺ ، وقد وقع على قلوب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، كالصاعقة يقول الصديق في ثبات واطمئنان : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن قبل ذلك موقفه في غزوة بدر وفي غزوة أحد عندما شاع بين الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل ، كان جوابه : موتوا على ما مات عليه رسول الله ، وفي حرب الردة يعلن موقفه التاريخي العظيم بإعلان الحرب على المرتدين ، ويعقد بيده آلية أحد عشر جيشاً ، ولا تقل مواقف عمر بن الخطاب ﷺ ، عن مواقف الصديق ﷺ ، إيجابية ومسارعة في فعل الخيرات ، في إسلامه ، وفي هجرته ، وفي جهره بدعوته ، وفي تحديه قريشاً ، وفي عبقريته السياسية بتنظيم الدولة ، وإنشاء الدواوين ، وتوزيع الخراج ، وإقرار سياسة الدولة الاقتصادية ، وتنظيم بيت المال ، و موقفه يوم السقيفة عندما بادر فقطع دابر الفتنة بأن أخذ بيد الصديق ، وقال : ابسط يدك نبايعك .

وليس أمر الإيجابية والشعور بالمسئولية وقفاً على أسماء معينة من مشاهير الصحابة ، فقد كان كل صحابي يدرك أن الإسلام هو مسئوليته ، وأن دولة الإسلام دولته ، وأنه شريك في إقامة دولة

الإسلام وحمايتها ، وإلا فمن كان يعرف من هو عمير بن الحمام قبل مبادرته الإيمانية إلى قتال المشركين حتى عد انتظاره ليأكل الثمرات وقتاً طويلاً ، ومن كان يعرف الحباب بن المنذر قبل أن يتقدم بمبادرته إلى رسول الله ﷺ ، وهو جندي مغمور من غمار الناس ، لكن رؤيته ونفاذ بصيرته ، كانت سبباً في نصر المسلمين والتخفيف عنهم ، وهذا سلمان الفارسي يبادر برأيه الذي كان سبباً في إعزاز الإسلام ، ونصر المسلمين في الخندق ، ولو ذهبنا نعد مواقف الإيجابية لأعيانا الحصر ، لأن حياة القوم كلها إيجابية ، ومواقفهم هي الإيجابية بعينها ، ولهذا قامت دولة الإسلام وعزت وملكت ما بين الخافقين شرقاً وغرباً في أقل من خمسين عاماً ، طاوية تحت جناحها أضخم ما عرفه التاريخ من إمبراطوريات في حينه فارس والروم ، إنك تستطيع أن تقول وأنت صادق : إن كل فرد من هذه الأمة كان يشعر شعوراً عميقاً بأنه يبني دولته ، ويصون عقيدته ، ويحافظ على كيانه وعزته ، ولك أن تختار أية فترة تاريخية من حياة الأمة كانت فيها عزيزة كريمة مهيبة ، فإنك لابد وأن تجد أن السمة الأولى التي ميزت تلك الفترات هي الإيجابية في أبنائها ، والسماحة والرجولة والاعتدال في أمرائها ، والصدق والإخلاص والربانية في علمائها ، والعفة والحياء والفضيلة في بناتها ونسائها ، ولن تجد فترة من تاريخ أصيبت الأمة فيها بأعدائها إلا وستجد سبب ذلك هو الاستبداد من حكامها ، والتملق والضعف من علمائها ، والعجز والاستسلام والخنوع من أبنائها ، وتلك كلها صفات سلبية لا تقوم بها دولة ولا تسعد بها أمة ولا يعز بها كيان ، وتاريخنا الإسلامي يشهد أن عصور الامتداد والفتح كانت هي عصور الاعتدال والرجولة والشجاعة واليقين من قبل الحكام وكانت هي

عصور الربانية والزهد والإخلاص والتقوى من العلماء ، واستعادة هذين الصنفين من الأمة يضمن استقامة النساء وإيجابية الأبناء ، مصداقاً لقول الرسول الأعظم ﷺ : "صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس ؛ وإذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء" ، وفي ضوء هذه الإشارات القرآنية المتعددة إلى ضرورة العمل بالإيجابية والتخلي عن السلبية ، فما أجدر أن يعي كل مسلم هذه الحقيقة فيعيش إيجابياً بحيث يراه الله حيث أمره ويفقده حيث نهاه ، ويكون كالغيث أينما وقع نفع ، وكالشمس تغرب في مكان لتشرق في مكان آخر ، فهي في شروق دائماً ، وبذلك يسعد في دنياه ويوم يلقى مولاه .

***

المراجع :

(١) مجلة "البداية" ، العدد/٤٢ ، الصادر بتاريخ ١٤/أبريل ٢٠٠٣م : ص/٨-٩-١٠ .

(٢) جريدة "الأحرار" ، العدد/٤١٤٦ ، الصادر بتاريخ ٢/مايو ٢٠٠٣م - الموافق غرة ربيع الأول ١٤٢٤هـ .

(٣) جريدة "اللواء" الإسلامي ، العدد/١٢١٨ ، الصادر بتاريخ ٢٦/٥/٢٠٠٥م : ص/٥.

(٤) جريدة "الغد" ، العدد/٣٧ ، الصادر بتاريخ ١٦/نوفمبر ٢٠٠٥م - الموافق ١٤/شوال ١٤٢٦هـ : ص/٣ .

(٥) مجلة "التبيان" ، العدد/١٦ ، الصادر بتاريخ غرة ذو القعدة ١٤٢٦هـ - الموافق ديسمبر ٢٠٠٥م : ص/٦ .

(٦) مجلة "الأزهر" ، العدد/١١ ، للسنة ٧٨ ، الصادر بتاريخ ذو القعدة ١٤٢٦هـ - الموافق ديسمبر ٢٠٠٥م : من ص/٢٠٠١ إلى ص/٢٠٠٥ .

من أعلام التاريخ الإسلامي :

أضواء على حياة الشيخ محمد الغزالي
وموقفه تجاه الحضارة الغربية

بقلم : الأستاذ محمد عفان الندوي
(مركز الدراسات العربية والإفريقية - جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

غزت الحضارة الغربية الفتية بخيلها ورجلها ، العالم الإسلامي الواهن المتداعي في عقر داره على غرة منه ، في وقت لم يكن متهيئاً للدفاع عن نفسه ، لا مادياً ولا معنوياً ، في منتصف القرن التاسع عشر ، فاستولت عليه وفرضت نفسها وبدأت تؤثر في عقليته بسرعة هائلة وبلا هوادة ، كان العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه مغلوباً على أمره ، متردداً في شأنه ، حيناً إيجابياً في موقفه إزاء الحضارة الجديدة ، وحيناً آخر سلبياً ، لا يدري أ يتلقف كل ما يأتي إليه من الغرب أم يرفضه بتاتاً أو يأخذ طريقاً وسطاً ، فيقبل ما يروق طبيعته ويترك ما تعافه نفسه ، التوت الأمور على العقلاء وحارت ألباب المفكرين والتبست الأسباب لدى الساسة والقادة ... إنه كان وضعاً في غاية الدقة والخطورة والتعقد ... الحضارة الغربية لها حاضرها وماضيها وفلسفتها وعقليتها الخاصة بها ... وكذلك العالم الإسلامي له ماضيه وتاريخه وحضارته وثقافته الخاصة به ، بينهما بعد المشرقين ، هل من الممكن أن يحصل التوافق والتصالح بينهما ، أم التنازل عن تعاليم الإسلام أو الإساءة إليه ، إن تم قبول الحضارة الغازية ، قبولها برمتها ، الحضارة التي هي في أوج ازدهارها والتي ربما تنقذ العالم الإسلامي من تخلفه وانهياره وتضعه في مقدمة الموكب السريع ، أو لا يجوز اتباعها ، ربما يكون ذلك تقليداً أعمى وبعداً عن الدين وضلالاً ليس بعده ضلال ، على كل حال فقد ثارت في أذهان القادة والمفكرين والمصلحين أسئلة كثيرة من هذا النوع ونهضت جماعات ونشأت حركات للإجابة عنها ومعالجة هذا الوضع المعقد الخطير وذهبت فيها مذاهب شتى ، دعت بعضها إلى تقليد هذه الحضارة والتصميم على تطبيقها في بلدها بحذافيرها ورأت صلاح الإسلام

والمعلمين في السير تحت رايتها ، بينما رفضت بعضها قائلة : إنه من المستحيل ، الجمع بينهما كما يستحيل الجمع بين الضب والنون أو النار والماء ، والأحسن للإسلام والمسلمين أن ينعزل عن الحضارة الغازية ويتجنب آثارها وظلالها ، وثمة كانت جماعة ثالثة تغاير في موقفها موقفهما ، ليست بخائفة ولا منبهرة بالبريق واللمعان ، قوية في شخصيتها ، معتزة بتاريخها ، معتدلة في تفكيرها ، إنها دعت إلى "خذ ما صفى ودع ما كدر" و "الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها" ولم تعتبر هذه الحضارة خيراً كاملاً ولا شراً كاملاً و وجدت فيها من العناصر المهمة التي يجب قبولها للإضافة إلى رصيدها الحضاري ليكون أغنى وأجمل وأحلى وأزهر وأصلح للحياة البشرية كلها ، أنشأ هذه الجماعة ، جمال الدين الأفغاني وخلفه ، تلميذه البار ، الإمام محمد عبده ، في مهمته ، كما خلفه فيها تلميذه البار العلامة رشيد رضا ، ومع أنهم كانوا في عرض الإسلام "مدافعين" ولكن البذور العلمية الفكرية والإصلاحية التي بذروها ظلت تنشأ وتترعرع وتهتز حتى أثمرت في شكل حركة الإخوان المسلمين التي تعمقت في دراسة الإسلام والغرب فأحسنت الهضم والفهم وتبنت من الغرب موقف المهاجم الجريئ المقدام المعتز بأصوله ومبادئه دون صلف وغرور وغطرسة وكبرياء ودون تنازل و وهن ومع حكمة وإخلاص واتزان واعتدال .

"إن مواجهة حضارة الغرب وجهاً لوجه ونقدها الجريئ الأصيل والظهور أمام الغرب في مظهر الداعي المهاجم كان يتطلب دراسة أعمق وجهوداً أكثر ترابطاً وأكثر تركيزاً ، ومعرفة أدق بطبيعة الحضارة الغربية وتركيبها ، وحماسة أشد في الدعوة إلى الإسلام ونظمه ومناهجه ويتطلب موقفاً غير موقف الزعيم السياسي الذي وقفه جمال الدين الأفغاني وموقف المحامي المدافع عن الشريعة الإسلامية الذي وقفه الشيخ محمد عبده .

وقد كان في حركة الإخوان المسلمين ، كبرى حركات الشرق

الأوسط الدينية والسياسية أمل كبير في تجديد القوة الإسلامية لو قدر لها أن تسير سيرها الطبيعي وتؤثر تأثيرها المطلوب والتف حولها الباحثون النوابغ والمفكرون الإسلاميون ورجال الاختصاص الفني والدراسات الواسعة العميقة التي قد بدت في كتاب مثل الدكتور مصطفى السباعي وسيد قطب ومحمد قطب ومحمد الغزالي والدكتور سعيد رمضان والشيخ يوسف القرضاوي وأضرابهم وتملأ الفراغ الفكري في الشرق الأوسط" (١).

الأستاذ محمد الغزالي ينحدر من هذه الأسرة وينتمي إلى هذه الجماعة، رضع بلبان الإسلام وعندما شب وقف حياته لشرح تعاليم الإسلام بعقل نادر وفكر نير بعيد عن التزمت والتعسف وضيق الفكر وقصر النظر والميوعة والذوبان.

"لقد ورثت الدين عن أبوى كما ورثت اللغة، أي بالتلقي والتلقين اللذين لا يصحبهما طويل تأمل أو إعمال فكر، ثم مرت بي مع فترة المراهقة حاجة اجتاحت كل ما أعرف وجعلتني أناقش في حرية أدنى إلى الجرأة مواريث الإيمان والفضيلة وتقاليد الحياة العامة والخاصة ولا أدري كم بقى هذا الشك ؟

كان لابد أن ينتهي إلى نتيجة حاسمة على كل حال، لأن العاقل يستحيل أن يعيش طول عمره أو أغلبه شاكا تحيره الريب، وقد خلصت من هذه الرحلة بأن الله حق ... لقد كنت مسلماً عن تقليد ثم أصبحت مسلماً عن اقتناع، اقتناع يقوم على البحث والموازنة والتأمل والمقارنة وكل يوم يمر بي يزيدني حباً للإسلام وثقة في صلاحيته للعالمين وجدارته بالبقاء أبد الآبدين" (٢).

وبهذا الحب والاحترام للإسلام والثقة في صلاحيته للعالمين وجدارته بالبقاء أبد الآبدين، امتشق قلمه الباتر واستخدم لسانه المفحم ليطلع الناس على اكتشافه العظيم كي يعم نفعه ويعرف قدره.

من هو محمد الغزالي ؟

محمد الغزالي علم من أعلام الإسلام وقمة من قممه ومصباح من

مصابيحه، زاد في ضوء الإسلام الناعس في وقت كان الظلام كثيفاً وجهر بالحق في ساعة، كان الجهر به يعد ظلماً وثورةً، كانت الحريات مكبوتة والأجواء خانقة ولكنه لم يبال بها ولم ينثن عن عزمه بلومة لائم، إن الحق الذي ناله بعد طول تجربة وعمق دراسة، آمن به بقوة، وعض عليه بالنواجذ واستحلى فيه كل مرارة، ودعا إليه مستميتاً في سبيله وأنشأ جيلاً تغذى على فكره وسار على دربه.

كان الغزالي من أولئك الذين لا يجود بمثله الزمان إلا قليلاً، كان مفكراً عظيماً وكاتباً كبيراً وداعيةً مخلصاً وخطيباً موهوباً وشاعراً واعداً وشخصاً ذا رسالة واضحة للحياة، وهذه شهادات بحقه من قبل الأعلام البارزين الذين عرفوه عن كتب وعن كثب.

"على مدى نصف القرن تحرك الغزالي بفكره الإيماني المؤثر ورؤيته المقارنة الذكية وأسلوبه المتميز ذي النكهة العذبة لكي يقول أشياء كثيرة ويفصل الحديث في معضلات شتى ويكتب عن هموم الإسلام والمسلمين ويؤكد قيماً ويرفض أخرى.

وعبر ألوف الصفحات التي كتبها لم يكد يترك مسألة تتميز بحساسية ما، في الساحة الإسلامية إلا و وقف عندها دارساً متفحصاً محللاً ومتوصلاً في نهاية الأمر إلى حشد من النتائج والمعطيات التي أغنت حركة الفكر الإسلامي المعاصر وغذت مكتبته الناشئة يومها بالعديد من المؤلفات القيمة" (عماد الدين خليل) (٣).

"قد تخالف الغزالي أو يخالفك في قضايا تصغر أو تكبر وتقل أو تكثر ولكنك إذا عرفته حق المعرفة لا تستطيع إلا أن تحبه وتقدره لما تحسه من إخلاص لله وتجرد للحق واستقامة في الاتجاه وغيرة صادقة على الإسلام، صحيح أنه أخذ على الشيخ أنه سريع الغضب وأنه إذا غضب هاج كالبحر حتى يغرق، وثار كالبركان حتى يحرق، وسر هذا أن الرجل يبغض الظلم والهوان لنفسه وللناس ولا يحب أن يَظلم أو يُظلم ولا أن يستخف

بكرامته أحد كما أنه لا يطيق العوج والانحراف و بخاصة إذا لبس الاستقامة أو تستر بزي الدين فهو الذي يقاتله سراً وعلانيةً" (يوسف القرضاوي) (٤).

"كنت حريصاً على الاجتماع بالشيخ محمد الغزالي الذي حدثني عنه الطالب عبد الله العقيل وأثنى عليه بصفة خاصة وأهداني بعض مؤلفاته فهو من شخصيات الإسلام البارزة وأحد كتاب النهضة الدينية بمصر وقابلت مؤلف **"الإسلام والأوضاع الاقتصادية"** و **"الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين"** و **"ومن هنا نعلم"** قابلت الرجل الذي يغذى جماعة الإخوان المسلمين بالغذاء الفكري الروحي الصحيح والأدب الإسلامي الدسم وسررت لهذه المقابلة لأني رأيت فيه رجلاً صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حي وعقل نير و وجه يفيض بالبشر" (أبو الحسن الندوي) (٥).

هذا ما ذكرناه غيض من فيض والواقع هو أن هناك مئات وآلافاً من النفوس التي تكن له هذا القدر من الإجلال والاحترام والمحبة.

صور من حياة محمد الغزالي :

اشتهر في الأوساط الإسلامية بلقب الغزالي وسبب هذا اللقب أن والده كان شديد الإعجاب بالإمام أبي حامد الغزالي، متأثراً بنزعته الصوفية وأن هذا تراءى ذات ليلة فأخبره أنه سيتزوج وينجب غلاماً ويشير عليه بأن يسميه الغزالي.

ولد في ١٩١٧/٩/٢٢م في قرية (تكلا العنب) من (ايتاي البارود) من أعمال البحيرة في منطقة خصبة، في منطقة قد سبق لها أن أنجبت العديد من كبار أهل العلم والأدب الذين لهم شهرة واسعة وصيت ذائع في مصر والعالم الإسلامي، أمثال الشاعر المجدد للشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي وحسن البنا وكفى فخراً لهذه المنطقة أن الإمام محمد عبده ينتمي إليها.

الأسرة والدراسة :

نشأ محمد الغزالي في أسرة محافظة على الإيمان والدين والخلق وكان والده من حفظة القرآن الكريم يتعهده بالتلاوة ليغرس في هذا العمر الغض غرسة الإيمان حتى تؤتي أكلها في أوانها، وقد نشأ ولده على ذلك، فقد أدخله أبوه كتاب القرية وما أن بلغ العاشرة من عمره حتى كان قد حفظ القرآن الكريم كله، كان القرآن الكريم هي المدرسة الأولى والأخيرة لمحمد الغزالي ... إن المعارف والعلوم التي تلقى منها ظل طول حياته يحافظ عليها ويحرص على نشرها.

وبعد أن أتم دراسته في كتاب القرية انتقل إلى معهد ديني في الإسكندرية حيث قضى سنواته الأربع في دراسة المرحلة الابتدائية ومن ثم واصل دراسته حتى نال شهادة الكفاءة بعد ثلاث سنوات ثم الشهادة الثانوية بعد سنتين ومن هناك انتقل إلى القاهرة ليبدأ دراسته الجامعية في كلية أصول الدين سنة ١٩٣٧م وبعد أربع سنوات نال شهادة العالمية سنة ١٩٤١م ثم تخصص في الدعوة والإرشاد حيث نال شهادة الماجستير ١٩٤٣م، وبعد تخرجه عمل إماماً وخطيباً في مسجد العتبة "الخضراء" ثم تدرج في وظائف مختلفة حيث صار مفتشاً في المساجد ثم واعظاً بالأزهر ثم وكيلاً لقسم المساجد ثم مديراً للمساجد ثم مديراً للتدريب فمديراً للدعوة والإرشاد وقد مر بالأشواك والقتاد واضطهد وعرف مرارة السجون مرات متعددة .. وفي سنة ١٩٧١م أعير للمملكة العربية السعودية كأستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وفي سنة ١٩٨١م عين وكيلاً للوزارة كما تولى رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية لمدة خمس سنوات.

نال محمد الغزالي جوائز قيمة مختلفة منها، جائزة الملك الفيصل العالمية لخدمة الإسلام وجائزة الدولة التقديرية بمصر وجائزة التمغة والامتياز الباكستانية وجائزة الدعوة الإسلامية من الجزائر وغيرها من

الجوائز الأخرى التي تدل على مكانته العلمية والفكرية والأدبية والدعوية وجهوده وإسهاماته في مختلف مجالات الحياة والعلم والفن .

وبعد أن قضى حياة حافلة بالنشاطات العلمية والدعوية التحق بالرفيق الأعلى عن ٧٩ /عاماً في أرض كانت حبيبة أثيرة لديه ، في مدينة الرياض بالسعودية ، السبت ١٩/شوال ١٤١٦هـ الموافق ٩/مارس ١٩٩٦م ودفن جثمان الشيخ في البقيع بالمدينة المنورة بجانب الشهداء والصالحين .

📖 محمد الغزالي شخصية متعددة الجوانب :

- محمد الغزالي الخطيب :

في زمن الجاهلية والإسلام أيضاً ، لم تكن أهمية الخطيب أقل من الشاعر .. إنه كان يحتل مكانة مرموقة تتطلع إليها الأنظار وتتلهف إليها الأفئدة وكانت من العادات الجاهلية المعروفة أنه إذا ظهر في قبيلة خطيب أقامت له الزفة وأكرمته وهابه الناس ، ولم لا يكون ذلك فإنه كان يقوم بدور كبير في رفع قيمة قبيلته بين القبائل وكانت القبيلة تعتبره سفيرها وممثلها ، وقد سجل تاريخ الأدب العربي أسماء خطباء كان لهم شهرة واسعة وإسهام كبير في نشر الأفكار والمبادئ والآراء وإنما نقرأ خطباء مثل عمرو ابن معديكرب وقس بن ساعدة الأيادي في الجاهلية وسحبان بن وائل وزياد بن أبيه وحسن البصري وحجاج ابن يوسف الثقفي في العصر الإسلامي ، وهؤلآء هم الذين لعبوا دوراً فعالاً في ترويج الأفكار وكسب القلوب وأسر العقول .

كان الشيخ الغزالي خطيباً مصقعاً موهوباً والخطابة من مزاياه الكبرى التي لا تكتمل قصة حياته بدون ذكرها وقد توفر فيه جميع العناصر التي يحتاج إليها خطيب ، فقد استوفى صفاته من الرجولة والبطولة والشجاعة والحكمة والصوت الجهير العذب المؤثر والإخلاص والتحرق والواقعية والمعرفة المستوعبة بعلل وأدواء الأمة والأدوية وطرق العلاج، عين واعظاً بعد تخرجه ولكنه لم يكن واعظاً عادياً محصوراً في دائرة البدع

والخرافات بل كان خطيباً عالماً مفكراً يرفع من القضايا في خطبه ما يرفعها في كتبه ، قد هابه الساسة وهرع إليه الناس زرافات و وحداناً و "لعل تاريخ مصر الحديث لم يشهد تجمعات في المساجد مثلما شهد في تلك الفترات التي كان يخطب فيها الشيخ الغزالي في مساجد مصر الشهيرة" .

وننقل هنا من الدكتور رجب البيومي ما يلقي ضوءاً وافياً على مكانة الشيخ كخطيب وتأثيره في الشعب ، يقول :

"لم يتحدث الغزالي عن مشكلات الاقتصاد والعدالة الاجتماعية في كتبه فحسب بل كان منبر الجمعة كل أسبوع مذياعاً خطيراً يبشر به الغزالي مستمعيه بآرائه الجريئة ، فأعاد للخطبة الدينية يوم الجمعة اعتبارها المفقود وأخذت الجموع تهرع إلى المسجد قبل الميعاد لتجد المكان المطمئن فإذا ضاقت رحاب المسجد تكتل الناس في الطرقات من حوله وقد بسطوا السجاد ليؤدوا الفريضة مستمعين إلى النقد الجريئ الحر بلسان عربي صادق لا يعرف المين والخداع ، وحين كان الأستاذ خطيباً للجامع الأزهر حقبة من الدهر أصبحت خطبه النقدية حديث الناس جميعاً وسجلتها الأشرطة لتتناقل في الربوع النائية فيعيدها خطباء المساجد في الأقاليم مرة ثانية .

و قد اجتمع أحد وزراء الداخلية مع نفر من الصحفيين ليقول لهم : أنهم فقدوا التأثير الشعبي لأنهم يكتبون في مناصرة الحكومة ولا يستمع إليهم أحد ومحمد الغزالي يلقى خطبه في مسجد مصطفى محمود يوم العيد فيرددها الخطباء في عشرات الآلاف من المساجد في القرى والمدن ولا يستطيع أن يمنع خطيب الجمعة إذا استند إلى القرآن والحديث ونقل كلام الغزالي في قدرته على الإبداع والإقناع (٦) .

- محمد الغزالي الأديب :

لم يكتب الغزالي رواية ولا مسرحية ولا قصة قصيرة ، ومع ذلك ينبغي تسجيل اسمه في قائمة الكتاب والأدباء البارزين في العصر الحديث ،

ورغم أن طابع الفكر يغلب على طابع الفن الخالص ولكنه يمزج العاطفة بالفكر والجسد بالروح والكلمات الباردة الساكنة بالمشاعر الحية الخافقة مزجاً شعرياً رائعاً يتولد منه أدب فكري خالص من نوع خاص يمكن أن يسمى ذلك بأدب الغزالي وهو أدب رفيع جميل لا يستطيع أن يصل إليه كل من هب ودب ولا يتأتى ذلك إلا بعد جهود علمية أدبية كثيفة ودراسة عميقة شاملة وتفتح عقلي وشعوري ناضج ، ربما أثار الفكر الخالص شيئاً من الجفاف والبرودة والخشونة وتبرم به القارئ بعد لحظات ولم يستطع مسايرة الكاتب في حله وترحاله ولكن إذا تم عجن الفكر الخالص المجرد بالعواطف النارية والمشاعر الجياشة والأحاسيس الفائرة والوقفات والمفارقات المدهشة ودموع العين الساخنة ودماء القلب الحارة تحول ذلك الفكر الجاف إلى أدب جميل حي آسر للقلوب ، آخذ بالألباب ، ناضر يمتع العين وينعش الروح ويغذى القلب ، يتحلق القارئ مع الكاتب في عالمه الذي صنعه بقوة فكره وروعة خياله فيفرح إذا فرح ويتألم إذا تألم ويضحك إذا ضحك ، القارئ مشدود القلب إلى أسلوب الكتاب مأخوذ به ولا يراد من الأدب إلا هذا ... والشيخ الغزالي يخلق بقلمه كل هذه الانطباعات ، وما أكثر من لوحات بديعة للأدب في كتبه تجعله أديباً بحق ودون ادعاء .

كان الشيخ الغزالي منذ صغره ميالاً إلى الأدب نزاعاً إليه ، "ولعل من توفيق الله أن يلتحق بكلية العقيدة والفلسفة لأن ميوله الأدبية تمتعه بالبيان المشرق في زمن الطلب واطلاعه على أمهات الكتب في عهد الدراسة الثانوية ما كان يرشحه لكلية اللغة ولكن ... وإن الغزالي أديب مطبوع لو ترك له المجال للعكوف على الأدب وحده لكان أديباً من طراز حجة الأدب ونابغة الإسلام" (الأستاذ مصطفى صادق الرافعي) (٧) .

ولعل ميله إلى الشعر في حداثة سنه - فقد قال أشعاراً جميلةً ، والغزالي قبل أن يكون مفكراً كان شاعراً - يشير إلى شغفه بالأدب وهيامه

به "ولهذا لم نفلجأ بجوابه عند استطلاعنا إياه عن أحب العلوم إليه ، بدأ بذكر الأدب أولاً" (٨) .

ورغم الانصراف عن الأدب الخالص إلى الفكر والحياة الفكرية أن الأسلوب الذي اتخذه لشرح أفكاره والتعبير عن آرائه ، أسلوب رائق رائع جميل له فاعلية ساحرة في القلوب والعقول ، "والمطالع لآثار الشيخ الغزالي ، مؤلفات ومقالات ومحاضرات وأحاديث يستشعر بقوة سعة الأفق الذي يطل به على مختلف فروع العلم ، وأول ما يطالعه من خلالها جميعاً تلك الموهبة الفنية التي تفرغ على تعابيره ألق البيان العفوي الجميل ، فالقارئ المتذوق لهذا الضرب من البلاغة لا يسعه أن يمر بكتاباته دون أن يتوقف بين الحين والآخر ليمتع وجدانه بتلك الصياغة الموفقة" (٩) .

أما الأدب عند الشيخ الغزالي ، فيفهم من خلال آثاره هو ليس ذلك الذي يقوم على الدراسات المجردة ، بل هو كل عمل فني تتوافر فيه عناصر الجمال وتتفاعل به المشاعر ، إن من البيان لسحراً ، ولابد من هذا السحر ، الذي يستطيع أن يسترد القلوب الضالة والعقول المنحرفة والعيون الزائغة والأقدام المتزلزلة ، وكانت ريشة قلم محمد الغزالي تنفث هذا السحر بإجادة وإحسان وكان يؤخذ به كل من يقرأه ، وما أجدرنا أن نذكر تجربة مسحورة مر بها الدكتور رجب البيومي أثناء قراءة كتابه : **"كفاح دين"** وأنها تجربة ممتعة مثيرة ... تحس بتوهج متقد يلفح أعصابك ويلهب دماءك إذ تطالع هذا الكتاب الصريح ، فقد كنت أقطع قراءتي في حزن آسف لأصعد زفرة حارة وأرسل عبرة ساخنة ، أو أضغط بيدي على رأسي فأنقذها من صداع ثقيل ... إن الكتاب قصة دامية ... فأنت تجد فيه روح القصة مهما كان بحثاً علمياً يستند إلى الوقائع والشواهد وكل كاتب ذي رسالة لابد أن يثير انفعالك واهتياجك ما تثيره القصة الفنية من نفسك لأنه يكتب بدمه وأعصابه وروحه ، فكل حرف يتوهج ببريق وكل سطر يتقد بحمر وكل فصل يهتز بإعصار ! ولن تجد عند كاتب منمق يجمع

المعلومات وينضد الألفاظ ، كأكثر من يدافعون عن الإسلام اليوم ، و وراء ذلك سكون جامد تدرك فيه صمت القبور وخراب موحش ، تلمس فيه ظلام الليل وجدب الصحراء ... (١٠) .

"على أن أسلوب الكاتب من النصاعة والإشراق بحيث يجذب إليه كل قارئ منصف يبعد عن الغرض في أحكامه وقد قلت : إنه بشخصياته وأحداثه يصلح أن يكون قصة دامية يشرح كارثة فاجعة بل إنه في بعض ابتداءاته ينقلك إلى جو القصة فعلاً كأنه يقول في وصف مكان مهمل من أمكنة العبادة والتدريس .

"برج الساعة خال لا ساعة فيه والقاعة مقفرة لا أنيس بها ولا صوت وزجاج النوافذ محطم قد وضعت في فراغه أوراق الكرتون والأطلال القديمة تسفي الغبار والأبنية الجديدة يبول عليها الرعاع وهو الآن مقابر لنفر من الشيوخ النائمين والشباب الهائمين" .

أ ليست هذه مقدمة لقصة يكتبها فنان كبير ... ؟ (١١) .

***

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية - أبو الحسن علي الندوي : ص/١١٢ (المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناؤ ، ١٩٩٨م) .

(٢) كيف نفهم الإسلام - محمد الغزالي : ص/١٩٧ (دار التوفيق النموذجية الأزهر ١٩٨٣م).

(٣) الشيخ محمد الغزالي - صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره ، مجموعة مقالات بأقلام عماد الدين خليل وعبد الحليم عويس ورمضان عبد التواب ومحفوظ عزام : ص/٥٨ (دار الصحوة - القاهرة ١٩٩٣م) .

(٤) من أعلام الحركة الإسلامية - عبد الله العقيل : ص/١٧ (إعداد بدر محمد بدر ٢٠٠٠م).

(٥) نفس المصدر : ص/١٢ .

(٦) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين - رجب البيومي : ص/٤٠٣ (دار القلم - دمشق - الدار الشمسية - بيروت ١٩٩٩م) . (٧) نفس المصدر : ص/٤٠٠ .

(٨-٩) علماء ومفكرون عرفتهم - محمد المجذوب : ص/٢٥٨ (دار النفائس ١٩٧٧م) .

(١٠) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين - رجب البيومي : ص/٤٠٣ (دار القلم - دمشق - الدار الشمسية - بيروت ١٩٩٩م) . (١١) نفس المصدر : ص/٤٢٠ .

الثقافة الإسلامية في الهند :

النقد على ما كتبه الباحث عرفات ظفر في (الشعر العربي الهندي في مراحله المختلفة)

بقلم : الأستاذ محمود عالم الصديقي
(الباحث في جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي)

أشعر بالافتخار حينما أقول : أنني أقرأ مجلتكم الغراء بانتظام منذ أيام دراستي في دار العلوم لندوة العلماء فاستفدت منها كثيراً ، وساعدتني على تحسين لغتي العربية وزودتني بأخصب زاد من العلوم الإسلامية والعلوم العربية ، فإن مجلتكم الموقرة تخدم الإسلام خدمة لا تنكر ، وتزود قارئيها بالقيم العليا الإسلامية وتستقطب جهود جيل من الأدباء والشعراء في مختلف أنحاء الهند ، وتنشر التعاليم الإسلامية مع إلقاء ضوء كاشف على العلوم الحديثة ، كما أنها تقوم بالمقارنة بين تعاليم الإسلام وتعاليم ديانات أخرى ، كما لها دور هام في تعريف العلماء والأدباء الهنود في البلدان العربية الإسلامية ، وتثير نوعاً من المعارك الأدبية والدراسات الإسلامية التي تسدد اتجاه الأدب والدراسات الإسلامية إلى وجهتهما القاصدة ، فهي تحتضن أقلام عباقرة العلماء الراسخين في العلوم الإسلامية والأدباء المليمين بجميع الفنون الأدبية ، بالإضافة إلى ذلك أنها تشجع الكتاب الناشئين من طلبة المدارس الإسلامية والجامعات الحكومية ، وأما أنا فتجاسرت أول مرة على كتابة حول ما قرأت في المجلة مقالة عنوانها : "الشعر العربي الهندي في مراحله المختلفة" كتبها أخي الكبير عرفات ظفر في عددها الصادر في يناير ٢٠٠٧م .

إن الباحث تناول هذا الموضوع تناولاً جميلاً ويبدو أنه كتب

هذه المقالة القيمة بعد قراءة واسعة في هذا الموضوع وجمع فيها المعلومات المنتشرة في المصادر القديمة والحديثة المتنوعة وعرض فيها عباقرة الشعر العربي الهندي عرضاً جيداً وحلل شخصيات مدرجة فيها تحليلاً دقيقاً يدل على مواهبه وقدرته على البحث والتحليل وعرض عباقرة الشعر العربي الهندي بأسلوب عصري لا يقل عن كتابات كبار أدباء العرب ، وذلك بلغة فصيحة سهلة ، فأحسن الأخ عرفات ظفر في كتابة الشعر العربي الهندي في مراحله المختلفة حسناً جميلاً .

ولكن لا أوافقه على ما قاله : إن العلامة فضل حق الخيرآبادي قد نفي إلى جزيرة أيندمان ؛ لأنه نظم منظومة سياسية معروفة بـ "فتنة الثورة الهندية" التي سجل فيها العلامة الحوادث الدامية لثورة عام ١٨٥٧م الهندية ، كما يكتب الأخ في مقالته المذكورة :

"وله ديوان شعر في العربية باسم (مجموعة القصائد) التي تتكون من قصائد في المدح والرثاء ، ومن أشهرها منظوماته السياسية المعروفة بـ (قصائد فتنة الهند) التي سجل فيها العلامة الحوادث الدامية لثورة عام ١٨٥٧م الهندية ، ولذلك نفاه الإنجليز إلى جزيرة أيندمان حيث مات وحيداً منعزلاً" (١) .

والحقيقة أن العلامة فضل حق الخيرآبادي قد قرض هذه المنظومة الشهيرة في أيام منفاه في جزيرة أيندمان وخير دليل على ذلك هذه القصيدة نفسها ، فإذا أمعنا النظر في هذه القصيدة الرائعة نجد أن العلامة فضل حق الخيرآبادي لم يسجل فيها الحوادث الدامية لثورة عام ١٨٥٧م الهندية فحسب ؛ بل عبر فيها عن مشاعره النفسية التي كانت

(١) مجلة : "البعث الإسلامي" في عددها الصادر في يناير من عام ٢٠٠٧م : ص/٧٠ .

تختلج في نفسه لكونه بعيداً عن أقربائه و وطنه العزيز واشتياقه إليه ، وصور فيها تصويراً صادقاً لآلام وأحزان كابدها في منفاه ، كما أنه صور فيها تصوير اعتداءات قامت بها الحكومة الاستعمارية على المسلمين والعلماء إثر فشل ثورة عام ١٨٥٧م الهندية ، وإليكم بعض الأبيات من القصيدة ، يفيض فيها العلامة بالألم والشكوى والشوق والحنين إلى وطنه وأقربائه لكي تتوصلوا إلى حقيقة الأمر :

"إذ كنت في عيش رغيد رابغ
هجم الكروب وفاجأت أرزاء
قد ضيقوا عيشي علي فعفته
و نسيت عيشاً كان فيه رخاء
حجروا علي وأسكنوني حجرة
لم يأتها غير السموم هواء
منعوا أشد المنع أن يلقاني
الأحباب و الأخوان و الأبناء
و سلبت أثوابي و بعد تجردي
للبس أعطي ميژروكساء
لم يكتفوا بحبسي بل ربا
فوق حبسي غربة و جلاء" (٢)

ثم يصور العلامة أوضح تصوير للاعتداءات التي قامت بها الحكومة الاستعمارية على المسلمين وعلى أبناء البلاد ويصف فيها وقائعها وصفاً دقيقاً .

(٢) "قصيدة فتنة الثورة الهندية" للعلامة فضل حق الخيرآبادي : ص/٤٣٧ (المطبع أخبار مدينة ، بجنور سنة ١٩٤٧م) .

قد سلط الأنصار في أمصارنا
أن صار أنصاراً لهم سفهاء
والآن إذ نصر النصارى أفرطوا
في الظلم فاخترم الضعاف جفاء
غالوا برایاهم برایا غیلة
فجرت كما انفجر العيون دماء
كم خربوا بلداً و لم يذروا به
بلداً فصار كأنه بيداء
هدّوا المساجد و القصور كأنها
لم تبن لم يك ثم قط بناء (٣)

ونحن نلاحظ العلامة في الأبيات الأخيرة يتحمس فيها للحمية الإسلامية فيدعو الله أن يغفر له، وينقذه من المصائب التي لا يستطيع الإنسان تحملها؛ كما أنقذه من ستين سنة، ثم يختتم القصيدة بالصلاة و التسليم على النبي و على آله و أصحابه و على جميع عباد الله الصالحين:

لم أقترف عملاً يثاب و إنما
قولي و فعلي سمعة و رياء
لكن فضلك واسع يرجى به
عن علتي و مآثمي الإبراء
فارحم عليّ فقد دهاني فتنة
لم تغن عنها فطنة و دهاء

(٣) نفس المصدر: ص/٤٤٠.

عافيتني ستين عاماً لاتني
تزداد لي من فضلك الآلاء
فاختل عافيتي و فاجاء خلة
فارحم فمنك الخير و الإعطاء
و وسائلي ربي إليك محمد
و المرتضى و ابناه و الزهراء
يا رب صلى عليه ما صدحت على
الإيك الوريق حمامة و رقاء (٤)

وهنا يتبادر السؤال إلى أذهاننا لماذا نفي العلامة إلى جزيرة أيندمان؟ فأجيب على هذا السؤال أن العلامة كان له شخصية ذات جوانب عديدة فكان عالماً متبحراً في العلوم العقلية والعلوم النقلية وملماً باللغة العربية، فإنه كتب كثيراً من الكتب المفيدة من أهمها:

١- الجنس الغالي. ٢- شرح جواهر العالي.
٣- حاشية أفق المبين. ٤- حاشية شرح سلم القاضي.
٥- الهدية السعيدية. ٦- امتناع النظير.
٧- تحقيق الفتوى في إبدال الطغوى.
٨- روضة الموجود في تحقيق الوجود.
٩- رسالة الثورة الهندية (٥).

وكتب العلامة هذه الرسالة باللغة العربية الفصيحة وتحتوي الرسالة على الحوادث الدامية لثورة عام ١٩٥٧م وصور فيها العلامة

(٤) المصدر السابق: ص/٤٥٩.
(٥) "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد خان شيرواني: ص/١٧٥ (المطبع: أخبار مدنية، بجنور سنة ١٩٤٧م).

فضل حق الخيرآبادي نفسه وبيئته و وطنه وما مر به من أحداث تصويراً صادقاً بأسلوب يمتاز بدقة الوصف ، وحسن الملاحظة فيرى الوقائع فلا تفوته دقائقها ويرسمها في أروع صورة غير أن محسنات الكلام والسجع غلبت على أسلوبه ، فهو في ذلك كرفاعة رافع الطهطاوي الذي يعتبر قطباً من أقطاب النهضة الحديثة ولكن أسلوبه "لا يعد من الطراز العالي ولقد كان يتصنع كما كانت عادة عصره فيميل في كتابته إلى جانب السجع وزخارف الكلام ولكنه يمتاز بدقة الوصف وحسن الملاحظة" (٦) .

ولهذه الرسالة أهمية كبرى من ناحية التاريخ فهي تعتبر مصدراً مهماً في المعرفة بأحوال أول الثورة الهندية لعام ١٩٥٧م ، ونقدم نموذجاً نثرياً من رسالة الثورة الهندية ، فيكتب العلامة موقف الغزاة عند اقتحام جنود الإنجليز :

"كان المجاهدون الغزاة الحماة الكماة يدافعونهم أشد الدفاع ، ويقارعونهم أشد قراع ، ويثبتون عند الاقتحام الأقدام ، ويتقدمون على كل مقدام ، لدى الأقدام ، فذاق كثير منهم شهد الشهادة ، و سعدوا و صعدوا معارج السعادة ﴿ **وَلِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا الْحُسْنَى** وَزِيَادَة ﴾ وما بقي من المجاهدين إلا قليل يبيتون جياعاً ، ويصيحون إلى الغزو سراعاً ، فيقارعون العدو قراعاً ، فكانوا مع جمع من الجيش يحفظون السور ويسدون الثغور ، حتى قعدت ليلة ثلة من الجيش قد تعودوا بالدعة والكسل وجبلوا على الجبن والفشل ، في مرصد محاذ للجبل ، فوضعوا أسلحتهم وباتوا نياماً فبيتهم العدو وأخذوا

(٦) "تطور الأدب الحديث" لدكتور أحمد هيكل ملخص من صفحات : ٧٨-٨١، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٣م .

أسلحتهم واخترموهم اختراماً ، وأناموا أولئك النيام فما استطاعوا قياماً" (٧) .

وكان شاعراً موهوباً فنظم أكثر من أربعة آلاف بيت وفقاً لقول صاحب نزهة الخواطر ، فله ديوان شعر وأكثر شعره في المدح والرثاء ، وسألقي الضوء على شعره بالتفاصيل في السطور التالية .

وكان بطلاً كبيراً من أبطال التحرير وأحد الزعماء لأول الثورة الهندية التي حدثت عام ١٨٥٧م ، وبذل في سبيل ذلك كل ما في وسعه من الجهود ، فألقى خطباً كثيرةً محرضاً أبناء البلاد على الجهاد ضد الحكومة الاستعمارية التي كانت قائمة بالاعتداء على المسلمين اعتداءاً كبيراً ، وبتذليلهم وتهديم مسجدهم بتوفير المساعدة الشاملة إلى حركة التبشير التي كانت نشيطة في تنصير المسلمين وأبناء البلاد ، وساعده في إشعال نيران الثورة فتوى الجهاد ضد الحكومة الاستعمارية الذي أصدره بالمشاركة مع جماعة من العلماء ، فاجتمع الناس على رصيف واحد ورفعوا علم الثورة ضد النظام الاستعماري في قيادة الملك المغولي الأخير بهادر شاه ظفر ، ولكن خدعه بعض المسئولين العسكريين ، فانهزم الملك وجنوده بعد معارك دامية وقعت بين جنود الإنجليز وأهل الهند ، واستمرت بضعة أشهر ، وخضعت الهند كلها لإمرة الإنجليز مع انهزام جنود الملك المغولي ، فاستولى الإنجليز على الهند كلها إثر فشل الثورة ، وقتلوا ألوفاً من المسلمين ونصبوا مشانق في الشوارع وقاموا بالاعتداء عليهم اعتداءاً كبيراً لا يوجد نظيره في تاريخ الهند عبر العصور .

(٧) "رسالة الثورة الهندية" للعلامة فضل حق الخيرآبادي : ص/٣٧٠-٣٧١ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنور ، سنة ١٩٤٧م) .

ولما أخفقت الثورة قدم العلامة إلى المحاكمة "حكم عليه بالنفي إلى جزيرة أيندمان عام ١٩٥٩م لنشاطاته الثورية ، وإصدار فتوى الجهاد ضد الحكومة الاستعمارية" (٨) ، ولما وصل إلى جزيرة أيندمان فوجد فيها جماعة من العلماء كانت موجودة من قبل ، ونفاهم الإنجليز لنفس الجريمة التي ارتكبها العلامة في نظرهم ، وأنا أخص بالذكر منهم مفتي عنايت أحمد كاكوروي ، فصارت الجزيرة بمثابة دار علوم تعج بالعلماء والطلبة برغم ذلك أنهم كانوا يواجهون أشد العذاب في هذه الجزيرة ويقضون فيها حياة شاقة لعدم توافر الاحتياجات اللازمة ، ويتحملون سوء معاملة الإنجليز ، فلم يتركوا نشاطاتهم العلمية ، بل كرسوا جل اهتمامهم على التأليف والتصنيف "فكتب مفتي عنايت أحمد في هذه الجزيرة كتاباً في النحو مسمى بـ **"علم الصيغة"** ، ونحن نقدر مدى أهميته بأنه داخل في المنهج الدراسي المعروف بالدرس النظامي في الهند ، وكتب كتاباً آخر في التاريخ ؛ وهو كتاب : **"تواريخ حبيب إله"** ثم طلب منه مسئول إنجليزي ترجمة كتاب : **"تقويم البلدان"** فأكمل ترجمته في سنتين ، وصار عمله هذا سبباً لإطلاق سراحه" (٩) .

أما العلامة فضل حق الخيرآبادي : "فكتب رسالته الشهيرة المعروفة بـ **"رسالة الثورة الهندية"** كما نظم فيها أشهر قصيدته الشعرية التي أدخلته في زمرة فحول الشعراء ؛ و جعلته إماماً لهم في الهند في العصر الحديث ، وهذه القصيدة معروفة بـ **"فتنة الثورة الهندية"** (١٠) .

---

(٨) "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد ، نفس المصدر : ص/١٦٧ .

(٩-١٠) نفس المصدر : ص/١٧٣ .

أطلق الإنجليز سراح مفتي عنايت أحمد كاكوروي عوضاً عن ترجمة الكتاب : "تقويم البلدان" : "فأرسل العلامة هذه القصيدة والرسالة بيد مفتي عنايت أحمد كاكوروي إلى ابنه مولانا عبد الحق لينشرهما على الناس ، وكانت الرسالة والقصيدة مكتوبتين بقلم الرصاص وفحم حجري ومنتشرتين في قطعات مختلفة من الأوراق ، فواجه ابنه مشاكل في ترميمهما وترتيبهما ، ونجح في جمعهما وترتيبهما بعد جهود استغرقت بضعة أشهر ، ولكنه لم ينشرهما على عامة الناس خوفاً من الحكومة لأن الأوضاع كانت سيئة لنشر مثل هذه القصيدة والرسالة اللتين كتبهما رجل نفاه الإنجليز" (١١) ، ونشرهما أول مرة مولانا عبد الشاهد خان الشروقي مع ترجمة حياة العلامة وابنه عبد الحق عام ١٩٤٧م .

وقد توفي العلامة في هذه الجزيرة عام ١٨٦١م وكان يشتد في حرارة اشتياقه إلى الوطن قبل موته ويذكر أبناءه وأقرباءه ويذرع الدموع في ذكرهم فكانت أمنيته الأخيرة أن يرجع إلى وطنه ولكن الموت قد أدركه قبل أن تتحقق أمنيته الأخيرة .

والجدير بالذكر : "إن ابنه العلامة مولوي شمس الحق نجح في الحصول على ورقة رسمية تبيح إطلاق سراح لأبيه بعد جهود متواصلة لسنتين ، فقصد إلى جزيرة أيندمان ، ولما وصل إليها وقع نظره على جنازة يشيعها جمع غفير ، فسأل الناس ؛ فقالوا : إن العلامة فضل حق الخيرآبادي قد انتقل إلى رحمة الله بالأمس ونحن نقصد إلى تدفينه ، فاشترك في تدفينه ، ثم رجع كئيباً وحزيناً إلى وطنه" (١٢) .

---

(١١) ملخص من نفس المصدر : ص/١٧٣-١٧٧ .

(١٢) نفس المصدر : ص/١٧٢ .

وما أحسن القول ما قاله عبد الله البلغرامي عن العلامة :

فادرج الفضل فـــي أثناء أكفانه
و دفـن العـــلم باندمانه (١٣)

إن العلامة كان عالماً كبيراً ولم يكن له نظير في زمانه في العلوم العقلية والإسلامية ، فيقول عبد الله البلغرامي عنه في مكان آخر :

"وتبحر في العلوم العقلية والنقلية ، وأناف على المهرة الكملة بالنفس القدسية ، حتى امتلأت الآفاق بصيت كماله وشحنت الأقطار بفضله وجلاله ، وكان الغالب عليه من العلوم المعقول ، ومن المنقولات العلوم الأدبية والكلام والأصول ، أما المعقولات فرزق نفساً قدسيةً وملكةً ملكوتيةً ، كان يرى الطالبين نظرياتها ، ببيان الصافي كالمحسوسات المرئية ، وأما ارتجاله بالخطب والأشعار العربية مع التجنيس والاشتقاق وحسن البراعة والطباق وغيرها من الصنائع الأدبية ، فلم يخلق مثله في البلاد ولم يأت عديله فيما أفاد وأجاد" (١٤).

قد مات العلامة ولكنه ترك لنا آثاراً أدبيةً لا تزال تكون محط أنظار العلماء فقد ترك ستة عشر كتاباً في اللغة العربية في مواضيع شتى من علم الكلام والمنطق والفقه والأدب والتاريخ منها :

١- رسالة علم ومعلوم .
٢- رسالة تحقيق حقيقة الأجسام .
٣- مجموعة القصائد ، وأكثر شعره في مدح النبي والرثاء .

(١٣) "خطبة سعيدية" نقلاً عن "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد خان شيرواني : ص/١٧٧ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنَور ، سنة ١٩٤٧م) .
(١٤) "خطبة سعيدية" نقلاً عن "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد خان شيرواني : ص/١٧٨ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنَور ، سنة ١٩٤٧م) .

مكانته في الشعر :

ويمكن لنا المقارنة بينه وبين محمود سامي البارودي في حياتهما وفي شاعريتهما ، فإذا أمعنا النظر في حياة هذين الشاعرين البارعين فنجد كثيراً من التشابه في حياتهما ، ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٨م لأبوين من الجراكسة ينتميان إلى المماليك الذين حكموا مصر فترة من الزمان ، وكان أبوه من أمراء المدفعية ثم جعله محمد علي مديراً لبربر ودنقله ، وظل بهما إلى أن توفي وابنه في السابعة من عمره فكفله بعض أهله ، وقاموا خير قيام على تربيته حتى إذا بلغ الثانية عشرة ألحقوه بالمدرسة العربية فخرج منها ضابطاً متقناً الفنون الحربية ومولعاً مع ذلك بالأدب والمطالعة (١٥) .

أما العلامة فضل حق الخيرآبادي قد ولد عام ١٧٩٧م في أسرة علمية قبل ٤١/سنة من ميلاد البارودي ، وكان أبوه نادرة عصره في العلوم العقلية وعلم الفقه وكان له رابطة قوية بالملك المغولي الشهير "أورنغ زيب عالمكير" وكان من العلماء الذين أمرهم الملك بتدوين الفتاوى الهندية التي تعرف بالفتاوى العالمكيرية في العصر الحديث ، فكان له سلطة روحانية كما كان لأب البارودي سلطة ظاهرية فهو يحكم على الناس حكماً ظاهراً وذلك يحكم عليهم حكماً باطنياً (١٦).

ثم راح البارودي يضرب في الآفاق فرحل إلى الآستانه وأتقن فيها التركية والفارسية ، وأتاحت له مكتبات الآستانه وما فيها من

(١٥) "الأدب العربي المعاصر" لشوقي ضيف : ص/٨٣ (المطبعة : دار المعارف بمصر ، د.ت) .
(١٦) "رسالة الثورة الهندية" للعلامة فضل حق الخيرآبادي : ص/١٤ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنَور ، سنة ١٩٤٧م) .

ذخائر الشعر العربي فرصة ذهبية ليتزود من دواوين الشعراء العباسيين ومن سبقوهم من الإسلاميين والجاهليين (١٧) .

وأما "العلامة فنشأ على حب العلم والمعرفة فدرس على أبيه العلوم العقلية من المنطق وعلم الكلام والفقه ومبادئ اللغة العربية والفارسية ؛ فكان مجيداً في اللغات الثلاث من الأردية والفارسية والعربية ، واستفاد كثيراً من مكتبة أبيه التي كانت مليئة بالكتب الإسلامية والعقلية ، كما استفاد من علم الشيخ عبد القادر حتى صار نابغة عصره في العلوم العقلية والنقلية" (١٨) .

والجدير بالذكر أن ما تيسر له من الثقافات الواسعة لم يتيسر للبارودي لأن الهند كانت مركزاً للعلم والمعرفة في ذلك الحين ، "فكانت مدينة دلهي ولكناؤ مليئتين بالعلماء والأدباء والفقهاء البارزين ، وكانت المعارك العلمية والأدبية على قدم وساق ، وتصدى لمولانا إسماعيل أحمد الشهيد عدد من العلماء إثر نشر الكتاب (تقوية الإيمان) فكان العلامة في طليعتهم وكتب كتاباً باسم امتنان النظير ، كما له فضل كبير في تحسين لغة شعرية للشاعر الكبير الأردي (مرزا غالب) الذي كان مولعاً بكثرة استعمال كلمات صعبة وفارسية في شعره ، فترك غالب اللغة الصعبة بتوجيه من العلامة ، فاتخذ مرزا غالب لغة سهلة للتعبير عن شعوره كما ساعده العلامة على تنقيح

(١٧) "الأدب العربي المعاصر" لشوقي ضيف : ص/٨٤ (المطبعة : دار المعارف بمصر ، د.ت) .

(١٨) "تذكرة غوثية" نقلاً عن "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد خان شيرواني : ص/٢١ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنور ، سنة ١٩٤٧م) .

ديوانه وحذف أشعاره الصعبة المعقدة" (١٩) .

عمل البارودي في مناصب حكومية شتى ، ولما حدثت الثورة العربية فكان البارودي في صفوف الثائرين ، ولما خمدت نيران الثورة ، نفي البارودي إلى جزيرة (سرنديب) ؛ حيث قضى معظم عمره من الحياة .

كذلك نرى العلامة أنه عمل في مناصب شتى ولما حدثت الثورة عام ١٨٥٧م الهندية فكان أحد زعمائها فقد أصدر فتوى الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية التي ساعدت كثيراً في جمع الناس تحت راية الملك المغولي ، ثم نفي إلى جزيرة أيندمان إثر فشل الثورة حيث انتقل العلامة إلى رحمة الله تعالى .

إذا كان يتواجد كثير من التشابه في حياتهما فلابد أن يكون التشابه في شعرهما غرضاً وفناً .

"يعتبر محمود سامي البارودي رائداً من رواد النهضة في الشعر العربي الحديث ، فهو أول من نهض بالشعر العربي الحديث من كبوته وانفصل عن الطور التقليدي الذي عاش فيه شعراء عصره ، فلم يتأثر بأسلوب الاستعارات والكنايات والجناس والتورية التي كان الشعر غارقاً فيها ، ونقل ديباجة الشعر من التمدح وطلب العطاء إلى تصوير مشاعره النفسية وتجاربه العاطفية" (٢٠) .

كذلك نجد العلامة في الهند يسلك مسلكاً جديداً في الشعر الذي كان مجاله محدوداً في الرثاء والمدح ، فما كان يتناول علماء الهند

(١٩) "باغي هندوستان" لمولانا محمد شاهد خان شيرواني ، ملخص من صفحات : ٤٩-٥٣ (المطبع : أخبار مدينة ، بجنور ، سنة ١٩٤٧م) .

(٢٠) "تاريخ الشعر العربي الحديث" لأحمد قبس : ص/١٧ .

أغراض الشعر إلا المدح والرثاء، فهو العلامة الذي نقل الشعر من الرثاء والمدح إلى تصوير مشاعره النفسية وتجاربه العاطفية والتعبير عن همومه القلبية والتفسير لأماني شعبه والتصوير لمساوي عصره، فلا شك أنه كان رائداً من رواد النهضة في الشعر العربي الهندي وخير دليل على ذلك قصيدته الرائعة المعروفة بـ (فتنة الثورة الهندية).

قصيدته فتنة الثورة الهندية قصيدة طويلة، وهي تحتوي على ١٨٦/بيتاً، وقد سجل فيها العلامة الحوادث الدامية لثورة عام ١٨٥٧م الهندية، وما نتج عنها من الفساد والخراب والقتل الفتك بالأطفال والنساء والأمراء ورؤساء البلاد، وصور فيها أروع تصوير لاعتداءات الإنجليز وسوء معاملتهم مع العلماء المجاهدين الذين نفوا إلى جزيرة أيندمان، فيصف جميع الاعتداءات وسوء المعاملات فيها وصفاً دقيقاً تسعفه مخيلة ماهرة في التقاط صور هذه الوقائع، حتى تهتز القلوب مخافة من هذه المناظر المخيفة المروعة، فتدل القصيدة على براعة صاحبه في الشعر وقدرته على التصوير الفني ولباقته في استعمال الكلمات والاتزان بينهما اتزاناً دقيقاً.

فإن قلت: إن تاريخ النهضة الحديثة في الشعر أقدم في الهند من تاريخ النهضة الحديثة من مصر والدول العربية الإسلامية ورائدها العلامة فضل حق الخيرآبادي فذلك لا يكون من المبالغة في شيئ، والدليل على ذلك أن العلامة ولد عام ١٧٩٧م قبل ٤١/سنة من ميلاد البارودي، وقال الشعر الذي عبر فيه عن مشاعره النفسية وتجاربه العاطفية و فسر فيه أماني شعبه و صور فيه مساوي عصره أروع تصوير، فلا شك أنه كان رائداً من رواد النهضة في الشعر العربي الهندي.

***

من تاريخ الأدب العربي الحديث:

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية

(حلقة ثالثة أخيرة) (حتى عام ١٩٥٠م)

بقلم: الدكتور مجيب الرحمن الندوي
(الأستاذ المشارك: مركز الدراسات العربية والإفريقية: جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

الرواية العربية في لبنان في الثلاثينيات وبعدها:

و قبل أن أتقدم في استعراض تطور الرواية العربية في مصر، بقي أن استعرض تطور الرواية في لبنان التي شهدت نشاطاً ضئيلاً في المجال الروائي في هذه الفترة، وعلى الرغم من أن الروائيين اللبنانيين كانوا أسبق من نظرائهم المصريين إلى التأليف الروائي، إلا أن الرواية الناضجة لم تظهر في لبنان إلا في نهاية الثلاثينيات، وبالتحديد في عام ١٩٣٩م، حين ظهرت رواية "الرغيف" لتوفيق يوسف عواد (١٨١٨-١٩١١م)، ويبدو أن ازدهار الرواية في مصر في فترة الثلاثينات وبروز أسماء مثل المأزني وتوفيق الحكيم وطه حسين وعباس محمود العقاد ثم نجيب محفوظ في حقل الرواية، كان له أثره في تطوير هذا القالب الأدبي في لبنان وفي أقطار أخرى (٤٨).

أما ما سبق رواية "الرغيف" في لبنان ابتداء من روايات سليم البستاني التي سبقت الإشارة إليها، ومروراً بفرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢م) صاحب رواية "أورشليم الجديدة" (١٩٠٤م) وغيرها، ونقولا حداد (١٨٧٢-١٩٥٣م)، صاحب رواية "حواء الجديدة"، وما كتبه يعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧م) صاحب رواية "فتاة مصر" (١٩٠٥م) وغيرها، وكذا ما كتبه جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م) صاحب "الأجنحة المتكسرة" (١٩١٢م) وغيرها، فكل هذه الروايات وأمثالها ينقصها البناء المحكم، وتقديم الشخصيات على نحو ناضج، ونفس

الشئ ينطبق على روايات كرم ملحم كرم (من مواليد ١٩٠٤م) "الصدور" (١٩٣٦م) و "بونا أنطون" (١٩٣٧م) و "صرخة الألم" (١٩٣٩م) فرواياته وقصصه لا تمثل أية قيمة فنية ولم تضف جديداً إلى الرواية العربية اللبنانية (٤٩).

أما رواية "الرغيف" فهي تدور في قرية "ساقية المسك" إبان الحرب العالمية الأولى، لنجد أنها تصور حياة الطبقة الدنيا في المجتمع اللبناني، تحت الحكم العثماني وقيام الثورة العربية التي انتهت بطرد العثمانيين والتبشير بالقومية العربية، وينجح المؤلف في تصوير الظلم الاجتماعي الذي تتعرض له أسرة أبو سعيد وأمثالها من الفقراء الذين لا يستطيعون الحصول على "الرغيف" إلا بشق الأنفس ويزغردون لمرآه، والذي مات بعضهم جوعاً بفعل ظروف الحرب واستبداد الحكام العثمانيين، وجشع الإقطاعي "إبراهيم بك فاخر" الذي يتحكم في ممتلكاتهم (بالرهن أولاً ثم بالاستيلاء عليها حين يعجزون عن السداد) ويمتص دماءهم دون أن يمنحهم إلا أقل القليل، وهو وأمثاله أعوان للسلطة العثمانية الحاكمة، والشئ الهام هنا أن توفيق يوسف عواد يكتب الرواية بموضوعية "تذكرنا من بعيد بموضوعية نجيب محفوظ حين يرسم الفقراء بما لهم وبما عليهم، فعواد يصور الفقر والعوز والحرمان الذي يُدمر حياة الفقراء لكنه لا يغفل من يتعاون منهم مع العثمانيين ويتجسسون لحسابهم على إخوانهم من أهالي البلاد" (٥٠).

ويرى الدكتور سهيل إدريس أن رواية "الرغيف" من حيث الروعة والحيوية وشدة التأثر من أروع الروايات العربية الحديثة وأبعدها مغزى (٥١) ذلك أن موضوع الرغيف هو أروع موضوع في تلك الحقبة من التاريخ العربي التي تسجل يقظة الشعر الوطني في

مختلف البلدان العربية، وهي بهذه الميزانية تشبه رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم (٥٢) وبكلمات إدريس: "إن (الرغيف) تتيح لتوفيق يوسف عواد أن يحتل مركزاً في سلم الروائيين العرب المحدثين الذين يمثلون الفن القصصي خير تمثيل كتوفيق الحكيم وميخائيل نعيمة وذو النون أيوب ونجيب محفوظ" (٥٣).

ولسوء الحظ لا نجد إنتاجات روائية أخرى للبنانيين قبل ١٩٥٠م، وأما بعدها فنجد روائيين لبنانين متفوقين كالأستاذ سهيل إدريس (١٩٤٤م) وليلى البعلبكي (١٩٣٦م) وليلى عسيران (١٩٣٦م) وأميلي نصر الله (١٩٣٨م) وحنان الشيخ (١٩٤٥م) وإلياس خوري (١٩٤٨م) ورشيد الضعيف (١٩٥٤م) ولكن أعمال هؤلاء ظهرت بعد عام ١٩٥٠م الذي هو خارج عن المجال الزمني لبحثنا هذا.

📖 نجيب محفوظ والرواية العربية حتى عام ١٩٥٠م:

لقد كانت الظروف التي أحاطت بالحرب العالمية وأدت إلى دمار شامل للبشرية في العالم، نقطة تحول رئيسية في الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في مصر والشرق الأوسط ومثلث نهاية الاتجاه الرومانسي في الشعر (٥٤) أما بالنسبة للنوع القصصي، فجاءت نقلة نوعية، كان أهم مظاهرها الانتقال بالرواية إلى أرض الواقع من ناحية، وتعبيرها عن إحساس الروائي بالواقع من ناحية أخرى (٥٥)، وكان هذا الإحساس عاطفياً ورومانسياً في بدايته، فمهّد بذلك لظهور الرواية التاريخية من جديد، غير أنه يجب أن نشير إلى أن الرواية التاريخية التي ظهرت إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها تختلف اختلافاً جوهرياً عن الرواية التاريخية التي ظهرت عند جرجي زيدان، والتي كانت تهدف إلى مجرد تعليم التاريخ كما تختلف أيضاً عن الرواية التاريخية التي تقصد التسلية والترفيه، وذلك لأن الروايات التاريخية

لهذه الفترة كانت تعبيراً عن إحساس يهدف إلى بعث أمجاد الماضي وبطولاته ويستلهم من هذا التاريخ المعاني التي تدفع إلى طريق المستقبل، وانقسمت الرواية التاريخية إلى شعبتين: تستلهم إحداهما التاريخ الفرعوني ويمثلها نجيب محفوظ (١٩١١م) وعادل كامل (١٩١٦م) في بواكير إنتاجهما مثل "رادوبيس" (١٩٤٣م) وكفاح طيبة (١٩٤٤م) وعبث الأقدار (١٩٣٩م) و "ملك من شعاع" (١٩٤١م) لعادل كامل، أما الشعبة الثانية فتستلهم التاريخ العربي والإسلامي وتكشف باتجاهها عن بداية خروج المجتمع العربي المصري من إطار الفكرة القومية المصرية الضيقة ليلتقي بالأقاليم العربية الأخرى على مستوى القومية العربية (٥٦)، ويمثل الشعبة الثانية كتاب من أمثال فريد أبو حديد (١٨٩٣-١٩٦٧م) وعلي أحمد باكثير (١٩١٠-١٩٤٩م) وعبد الحليم جودة السحار (١٩١٣م) محمد سعيد العريان (١٩٠٥-١٩٦٤م) وعلي الجارم (١٨٨١-١٩٤٩م) وغيرهم.

لا يختلف اثنان في أن نجيب محفوظ أعظم وأبرز الشخصيات التي ظهرت في القرن العشرين في تاريخ الرواية العربية، ومن بين الكتاب المصريين لعله مصري أكثر تميزاً بوعيه واتجاهه وخلفيته، ولم يستطع أحد أن يقترب ما أنجزه محفوظ في غزارة الإنتاج وتنوعه وأصالته وجديته وابتكاره (٥٧).

لقد كرّس نجيب محفوظ حياته لميدان الرواية وساعده تخصصه هذا في ابتداع أشكال جديدة وابتكار أساليب حديثة لم يستقها من الأشكال الأوربية للرواية ولم يستنبطها من المحاولات التي سبقته بل دفعته إليها مراحل التطور الخلاق التي مرّ بها، ويبدو هذا جلياً في المعمار الفني الدقيق الذي امتازت به أعماله الأولى مثل "عبث الأقدار" و "رادوبيس" وكفاح طيبة، ثم المرحلة الثانية التي بدأت

"بالقاهرة الجديدة" وانتهت بالثلاثية، فلقد برزت فيها سيادة نجيب محفوظ على الموقف الدرامي بحيث لم تفلت من يده الخطوط الأساسية رغم ضخامة حجم الأعمال وخاصة في الثلاثية (٥٨).

ومروراً بمرحلة الروايات التاريخية التي يمكن أن يقال عنها: إنها صقلت أدواته الفنية وجهزته لمهمة أعظم في الرواية الواقعية الاجتماعية ثم المرحلة الميتافيزيقية، ثم المرحلة التشكيلية الدرامية، فهذه المراحل كلها كانت مجرد علامات على الطريق التي سلكها نجيب محفوظ منذ عام ١٩٣٩م حتى عام ١٩٧٣م، والنسيج الفكري والوجداني فيها واحد عنده والتداخل العميق بين مختلف المراحل في أدبه يرجع إلى اهتمامه البالغ بقضية الشكل الفني عنده (٥٩).

وبعد إخراج ثلاث روايات تاريخية، اتجه محفوظ إلى كتابة الرواية الاجتماعية وأخرج في هذا النوع سبع روايات، ولكن يهمنا في هذا البحث ثلاث رواياته التي ظهرت قبل عام ١٩٥٠م، وفيها جاء التركيز المتزائد على المجتمع ككل بدلاً من الشخصيات الفردية، ولا يعطي نجيب محفوظ هوية فردية للبيئة فحسب بل يعالجها كواقع حي وبدون شك لأنها بطيئة التغير وتصبح العامل المهيمن في سلوك الشخصية، وهكذا تبدأ حياتها وتنمو وتتحرك إلى ذروة في ترتيب منطقي ومع أبعاد كاملة (٦٠).

وتركز روايته الأولى "خان الخليلي" (١٩٤٥م) على حب أخوين لفتاة، وفي الحقيقة إن الكاتب مهتم بحي القاهرة التي يعيشان فيها كما هو مهتم بسكانها الآخرين، وتقدم صورة واقعية وصادقة لحياة وآمال وإحباطات الطبقة المتوسطة من المجتمع المصري في الفترة قبل الحرب العالمية الثانية، وظهرت روايته الثانية من مرحلة الواقعية الاجتماعية، "القاهرة الجديدة" في عام ١٩٤٦م، وتدور القصة حول

ثلاثة خريجي جامعة القاهرة ؛ على طه وهو علماني ليبرالي النزعة ويؤمن بالعلوم والاشتراكية ، ومأمون الرضوان وهو مسلم تقي و ورع ، ومحجوب عبد الدائم وهو صاحب النزعة النهلستية الذي ينكر بوجود القيم والمثل في الحياة ، وتركز الرواية على محجوب الذي تحت ضغط ظروفه القاسية ، يرتضي بأن يتزوج خليلة مديره مقابل وظيفة يحصل عليها ولكن سيده يستمر في علاقته غير الشرعية مع خليلته ، في البداية بدأ المستقبل يشرق ويضيء بالنسبة لمحجوب ، لكنه يظلم عندما يفتضح سر علاقاتها مع المدير ، وهكذا تقدم "القاهرة الجديدة" تصويراً داكناً للمجتمع المصري المتغير الذي يعاني من الفساد الخلقي والسياسي وتبحث بشدة عن القيم والمثل (٦١) ، أما رواية "زقاق المدق" التي نشرت في عام ١٩٤٧م ، فهي أكثر روايات محفوظ واقعية عند كثير من النقاد وتصور ببراعة بالغة ودقة متناهية وبنظر ثاقب وروح فكهة ، سكان زقاق المدق وما لكل من طبيعة وأسلوب في المعيشة ، ويجيد في تحليل شخصياتهم و وصف تصرفاتهم وأحوالهم ويجعل من سرد حوادثهم قصة ممتعة وعرضاً واقعياً بانو رامياً للحياة الاجتماعية في هذه البيئة من مدينة القاهرة (٦٢) .

ولا يسعنا المجال الزمني لمقالنا هذا أن نتقدم باستعراض روايات محفوظ في الخمسينيات ، ونكتفي هنا بنقل ما كتبه الدكتور حمدي السكوت عن روايات نجيب محفوظ : "فبتصوير القضايا الإنسانية والاجتماعية الكبيرة ، وبتقديم متحف كبير من الشخصيات العملاقة التي أصبحت - كشخصيات شكبير - محفوظة في ذاكرة القارئ ، وبالقدرة البارعة على تصوير مئات الموافق المتغايرة وبالإحاطة الواسعة والعميقة بآليات القص وأساليبه الفنية ، وبالتمكن المذهل من المزج بين المحلي والعالمي ، وبالحساسية المرفهة لالتقاط التفاصيل الدالة

وذات المغزى سواء في داخل النفس البشرية أو في البيئة المحيطة بها ، وبالجد والجهد والموهبة الفذة وبالتفرغ الكامل للفن الروائي ، استطاع نجيب محفوظ أن يتربع على عرش الرواية العربية (٦٣) وترك مسافة طويلة بينه وبين الروائيين حتى إن إحدى عشرة رواية له على الأقل تعد من الكلاسيكيات في الأدب العربي وبعضها (كالثلاثية) يعد من الكلاسيكيات في الأدب العالمي كله (٦٤) .

🕮 رواية جيل نجيب محفوظ في الأربعينات :

تتميز الأربعينات بكثرة الإنتاج الروائي ، فنشر عدد لا بأس به من الكتاب رواياتهم في هذه الفترة ، وأهم ما يستحق التنويه هو رواية يحيى حقي (١٩٠٥-١٩٨٧م) القصيرة "قنديل أم هاشم" (١٩٤٤م) التي نحتت بفكرتها هي ورواية الحكيم "عصفور من الشرق" طريقاً جديدةً سلكها العديد من الروائيين العرب بعد يحيى حقي وهي فكرة تجابه الحضارات (٦٥) ، ونشر عبد الحميد جودة السحار (١٩١٣-١٩٧٤م) رواية "قافلة الزمان" (١٩٤٧م) التي تعد من روايات الأجيال ، إذ يتناول السحار فيها حياة أسرة في أجيال ثلاثة وتهتم الرواية بالمجتمع المصري ، وتنجح في تصويرها الحي للعادات والتقاليد التي كانت سائدة في القاهرة في مطلع القرن كما أن الأحداث السياسية التي تحتويها الرواية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحدث ، ونشر علي أحمد باكثير (١٩١٠-١٩٤٩م) رواياته التاريخية الإسلامية "وا إسلاماه" (١٩٤٥م) ولكن أهم روايته هي "الثائر الأحمر" (١٩٤٩م) التي يحاول أن يبرز فيها اشتراكية الإسلام التي يرى باكثير أنها أنجح وأفضل وأكثر ملاءمة للمجتمعات العربية (وغير العربية بالطبع) من الشيوعية التي كانت قد برزت على الساحة في مصر بشكل قوي في الأربعينيات من هذا القرن .

كما نشر عادل كامل (من مواليد ١٩١٤م) روايته التاريخية الفرعونية ملك من شعاع (١٩٤١م) ونشر رواية أخرى بعنوان : "أحمس" في عام ١٩٤٣م ، وظهرت رواية "سلوى في مهب الريح" في عام ١٩٤٧م لصاحبها محمود تيمور ، وهي رواية واقعية تحليلية وتصور الطبقات المختلفة من غنية وفقيرة وتحلل هذه الطبقات في خلقها وفي سموها ومباذلها كما تحلل الشخصيات تحليلاً عميقاً (٦٦) .

📖 **الرواية العربية في الأقطار العربية الأخرى :**

الرواية في سورية : على الرغم من أن أول رواية عربية - على الإطلاق - كتبت بقلم سوري هو قلم فرانسيس مراش وهي رواية "غابة الحق" التي نشرت في عام (١٩٦٥م) ، فإننا لا نجد رواية فنية حتى عام ١٩٣٧م حيث صدرت رواية "نهم" لشكيب الجابري ، وتكاد تكون الرواية انعكاساً لجوانب من شخصية الجابري : مغامراته النسائية وموقفه من الجمال والمرأة وأفكاره الوطنية ، وقد كتب الجابري روايتين أخريين تصوران التجربة ذاتها تقريباً ؛ وهما رواية "قدر يلهو" (١٩٣٩م) ورواية قوس قزح (١٩٤٦م) ، وأما باقي رواياته فظهرت بعد الخمسينيات .

الرواية في العراق : لم يستطع الروائيون ولا القصاصون العراقيون أن يفرضوا نتاجهم على انتباه القراء العرب على النحو الذي فعله زملاءهم العظام في الشعر كالسياب (١٩٢٦-١٩٦٤م) والبياتي ونازك الملائكة (١٩٢٣م) ، فتأخر ظهور الرواية الفنية في العراق ، وتعد رواية "الدكتور إبراهيم" (١٩٣٩م) التي كتبها ذو النون أيوب (١٩٠٨م) أول رواية فنية عراقية ، وعلى الرغم من نشر روايات عديلة قبل "الدكتور إبراهيم" لعل أبرزها رواية "جلال خالد" (١٩٢٨م) لمحمود أحمد السيد (١٨٩٥-١٩٦٦م) ، فإن الروايات العراقية

المتميزة في رأي معظم النقاد والدارسين لا تتعدى عدداً محدوداً جداً أنتجته بصفة سياسية أقلام غائب طعمة فرمان (١٩٢٧-١٩٩٠م) وفؤاد التركي (١٩٢٧م) وعبد الرحمن مجيد الربيعي (١٩٢٥م) (٦٧) ولكن إنتاجات هؤلاء ظهرت بعد عام ١٩٥٠م .

أما الرواية العربية في باقي الأقطار العربية فظهرت واكتملت في وقت متأخر جداً لا يغطيه الإطار الزمني لمقالنا .

موجز القول : أن الرواية العربية مروراً بمرحلة الطفولة والشباب بلغت نضجها في الخمسينيات على يد نجيب محفوظ ، وهي في مراحل تطورها تمثل نسخة مُسرّعة لتطور الأدب القصصي الحديث في العالم الغربي ، وكما أن الغرب قد أثر في سياسة واقتصاد العالم العربي ، أثر أيضاً في أدبه القصصي ، واليوم قد بات واضحاً أن الروائيين العرب منذ خمسين سنة الماضية قد أتقنوا فنهم وأظهروا قدرة على تقديم رؤية أكبر وأوسع تمكن الأدب من تخطي حدود الزمان والمكان ، كما أن من الملاحظ أن الرواية العربية قد أخذت من مصر أرضاً خصبةً ومسرحاً نشيطاً لها بعد أن فتحت عيونها في بلاد الشام ، ثم توسعت في الخمسينيات وبعدها لتشمل كافة الأقطار العربية .

***

المراجع والهوامش :

(٤٨) حمدي السكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : المجلد الأول : ص/١١٠ .

(٤٩) سهيل إدريس : محاضرات عن القصة في لبنان : ص/٤٥-٤٧ .

(٥٠) حمدي السكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي : المجلد الأول : ص/١١٣ .

(٥١) سهيل إدريس : محاضرات عن القصة في لبنان : ص/٥٩ .

(٥٢) نفس المصدر : ص/٥٩-٦١ .

(٥٣) نفس المصدر : ص/٦٤ .

(٥٤) M.M.Badawi: A short history of Modern Arabic Literature, p.131.

(٥٥) نفس المصدر : ص/١٣١ .

(٥٦) عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر : ص/٤٠٢ .

(٥٧) M.M.Badawi: A short history of Modern Arabic Literature, p.136.

(٥٨) نبيل راغب : قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ : ص/١٣-١٤ .

(٥٩) أيضاً : ص/١٥-١٨ .

(٦٠) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الرابع : ص/١٥٤ .

(٦١) M.M.Badawi: A short history of Modern Arabic Literature, p.137.

(٦٢) أنيس المقدسي : الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : ص/٥٢٠ .

(٦٣) حمدي السكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي ، المجلد الأول : ص/٤٧ .

(٦٤) نفس المصدر : ص/٤٧ .

(٦٥) نفس المصدر : ص/٥١ .

(٦٦) شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر : ص/٣٠٦ .

(٦٧) حمدي السكوت : الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي ، المجلد الأول : ص/١٦٣ .

***

صور و أوضاع :

معياران مختلفان للعلمانية والديمقراطية

بقلم : محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يرفع الإعلام الغربي الذي يسيطر عليه اليهود هتاف العلمانية من جديد ، ويبدي قلقه على ما يتصوره من الخطر المحدق بوصول زعيم له خلفية دينية إلى الحكم في تركيا ، فقد أعلن وزير خارجية تركيا السيد عبد الله جل نيته للاشتراك في انتخاب الرئاسة ، ومصدر هذا الخوف انتماء السيد عبد الله جل إلى حزب جذوره إسلامية ، وتمسك السيد عبد الله جل بالتعاليم الإسلامية في حياته الشخصية ، رغم إعلانه الصريح بأنه سيحافظ على التزامات الدستور التركي العلماني .

وأثارت الصحافة العالمية ضجة كبيرة على اشتراك رجل له خلفية إسلامية في انتخابات الرئاسة في بلد علماني واحتمال وصوله إلى الحكم لأنه يتمتع بشعبية واسعة .

وأفادت الأنباء العالمية بأن المحكمة العليا في تركيا فرضت الحظر على اشتراكه في انتخابات الرئاسة لخلفيته الإسلامية .

يدل هذا الاهتمام البالغ بالقضية على التدخل في الشئون الداخلية ، ثم يدل على أن أوربا لها معياران للعلمانية ، معيار للعالم الإسلامي ، ومعيار لأوربا ، فلا يعترض أحد على وصول أحد في أوربا إلى الحكم بخلفية نصرانية ، ولا على صلته بالجمعيات التنصيرية ، ولا ولائه و وفائه للبابا والكنيسة ، ولا حضوره في أي حفل ديني ، وتفيد التقارير الصحفية بمثل هذه الارتباطات بالكنيسة وجمعيات التنصير ، ولا يخفى كبار زعماء الدول الأوربية انتماءهم إلى حركات دينية ، رغم إدلاءهم بالعلمانية ، والديمقراطية ، ولكن هذا الانتماء في أي بلد إسلامي إذا ظهر في زعيم من الزعماء يشكل خطراً كبيراً ، وهذا هو التناقض البارز الذي يلاحظه كل

من يتابع الإعلام الغربي ، وقبل شهور زار البابا تركيا ، وأفادت التقارير بنشاط واسع لجمعيات التنصير ودخول نسبة كبيرة من الأتراك في النصرانية ، ولم يعتبر الإعلام الغربي هذه الحركة التنصيرية منافية لنظام البلاد العلماني ، ولم تعترض الحكومة العلمانية ولا القضاء على هذا النشاط .

إن انتماء عدة دول أوربية إلى النصرانية معروف ، رغم تمسك هذه البلدان بالعلمانية ، وكذلك الهند بلد علماني وديمقراطي ، لكن الأحزاب التي ترفع نعرات دينية ، وتضع في منشورها الانتخابي الأهداف الدينية ، كهندوتوا الذي يشكل أهم أهداف وشعارات حزب بهارتيا جانتا ، تخوض معركة الانتخابات وتفوز فيها ، وتصل إلى كراسي الحكم ، ولا يعترض عليه الإعلام الغربي ، وقد حكم هذا الحزب البلاد في المركز أكثر من ست سنوات ، ويحكم حالياً في عدة ولايات ويتخذ إجراءات دينية حسب عقيدة الأغلبية منافية لعقيدة الأقليات ، وتنقل الصحف تقارير اشتراك وزرائه ، وحتى رئيس الوزراء في المراسيم الدينية وإظهار العلاقات والرموز الدينية.

ولا يخفى هؤلآء الزعماء مطالبهم بتحويل هذه البلاد إلى بلد هندوكي وتحمل كتب المقررات الدراسية المقررة من الحكومة مواد تعكس رؤية أتباع ديانة واحدة رغم كل ذلك تعتبر الهند بلداً علمانياً ديمقراطياً .. ولم تعترض الصحافة العالمية على هذا الانتماء إلى ديانة ، أو على الخلفية الدينية لأي زعيم أو ممارساته الدينية .

ويدل ذلك أيضاً على سياسة مخططة مستمرة لأوربا عن طريق عملائها في العالم الإسلامي لقطع صلة البلاد بالإسلام ، وقد كان مصطفى كمال أول من نفذ هذه السياسة ، فاختار العلمانية المنافية للإسلام ، بدلاً من التعايش بين الدين والدولة ، بل اختار محاكاة الغرب محاكاة كاملة ، وكان ذلك تفكير بعض مفكرى العالم العربي أيضاً ، الذين اختاروا هذا الاتجاه ، فيقول طه حسين :

"لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم ، ونسير سيرتها في الإدارة ونسلك طريقها في التشريع ، والتزمنا هذا كله أمام أوربا ، وهل كانت معاهدة الاستقلال ١٩٣٦م ومعاهدة إلغاء الامتيازات ١٩٣٨م إلا التزاماً صريحاً قانعاً أمام العالم المتحضر بأننا نسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع" .

🕮 تأثير الفكر العلماني على العالم الإسلامي :

كان تحديد الدين على الحياة الشخصية وفصله عن الحكم في العالم الإسلامي وسيلة لإقصاء الإسلام عن النفوذ على المجتمع ، وبذلك زالت الفوارق بين المسلمين الذين هم في أغلبية وغير المسلمين كالنصارى واليهود ، و وصلت هذه العناصر إلى المناصب العليا ، وفرضت سيطرتها على النفوس ، وأتيحت لها فرصة كاملة لنشر أفكارها كما كانت وسيلة لاستيراد الأفكار الغربية ونشر الكتب المعادية للإسلام وإدخالها في مدارس العلم ، وأسندت مناصب عليا في الجامعات والكليات إلى عناصر معادية للإسلام ، وأصبح الإسلام في بلاد الإسلام هدفاً لطعن الطاعنين ، وقامت الحكومات بحمايتهم باسم حرية التعبير ، وحرية الرأي والعلمانية للدولة ، واختارت بعض البلدان التي كان لها تاريخ مجيد سياسات معادية للإسلام باسم العلمانية ، واختيرت العلمانية كمبدأ لنظام الحكم ، ونظام التعليم ، والإعلام والثقافة في سائر أنحاء العالم الإسلامي التي خضعت للاستعمار الغربي ، ونفذت مخططاته ، وأخرج من دساتير هذه البلدان الإسلام كأساس الدستور وأصبحت العلمانية شعاراً للدولة ، وبذلك فتحت أبواب الثقافة الأوربية الغازية والأفكار الملحدة ، وأتيحت فرص نشر النزعات المادية والإباحية ، وقامت الحكومات القائمة في ظل العلمانية بحماية هذه التيارات المعادية للإسلام ، وفرضت القيود على أصحاب الاتجاهات الدينية وتم إقصاء حاملي هذه الاتجاهات عن مواضع النفوذ ، وفرض الحظر على الحركات والأحزاب التي تحمل الاتجاه الديني ، وسدت

الطرق أمام اشتراكها في الانتخابات ، وبذلك أغلقت الأبواب دون نفوذها في الحكم ، أو الوصول إلى البرلمان أو تشكيل النقابات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، وامتنعت الحكومات العلمانية عن مساندة أي عمل له طابع ديني أو تحديد أي نشاط معارض للدين ، وفي هذه الفترة انتشرت في العالم الإسلامي المؤلفات والبحوث والتحليلات المعادية للإسلام التي أعدها المستشرقون وتلاميذهم من المتغربين ، وأحدثت هذه المؤلفات شكوكاً وشبهات في أذهان المثقفين عن الإسلام ، والقرآن والحديث والسنة والفقه الإسلامي ، وأثيرت الشكوك في أصالة هذه العناصر ، وأثير الغبار على الشخصيات الإسلامية والمقدسات الإسلامية ، وكل ذلك تحت مظلة حماية حرية التعبير ، وحرية العقيدة العلمانية .

🕮 العلمانية في غير البلدان الإسلامية :

من المفارقات العجيبة أن العلمانية تعمل كعنصر تصالح بين الدين و الدنيا في العالم الأوربي و دول ديمقراطية علمانية أخرى بما فيها الهند ، فلا يوجد فيها الصراع بين النظام العلماني والدين وبين الدين والعلم ، والسياسة ، بل تقوم فيها المؤسسات الدينية وتتمتع بحرية كاملة ، وتقوم بنشاطاتها وتبذل المساعي للوصول إلى الحكم بالأهداف الدينية ، وفي أوربا تمارس الكنيسة نشاطاتها التي تشمل جميع الخدمات العامة ويظهر وجودها في جميع المؤسسات ويدعم هذه النشاطات الزعماء السياسيون والقادة ، ويهيئون لها الوسائل المادية في الشعارات الدينية ، ولا تخلو الفنادق والمستشفيات ، ومرافق الحياة الأخرى ، من الرموز والشعارات المسيحية ، أو اليهودية ، وقد دخلت التصورات الدينية في الأدب والفكر ، كالتثليث والكفارة وتصور الأب والأم ، ويوزع الكتاب المقدس بالملايين وتفتح مدارس تبشيرية برعاية الحكومات الأوربية ويوجه ملايين من الراهبين والراهبات إلى مختلف أنحاء العالم ، ولا يخفى الحكام الأوربيون حرصهم على نشر المسيحية ومكافحة الأديان الأخرى ، وتصدر بيانات

بتحويل دول العالم الإسلامي الفقيرة إلى دول نصرانية وتعكف دور النشر على إصدار كتب ضد الإسلام والأديان الأخرى ، وتبث وسائل الإعلام الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين في الصحف والمجلات ، وتجعل كل مارد ومارق في العالم الإسلامي بطلاً يحتفي به ، وتهيئ له وسائل تأمين حياته وراحته في الدول الأوربية ، وتعمل الشركات التجارية على تصدير بضائع تحمل شعارات تؤذي المسلمين وتجرح مشاعرهم ، ويمنع المسلمون من أتباع تعاليم دينهم ، والعمل على ثقافتهم ، ورغم هذه السياسة تظل هذه البلدان علمانية .

إن العلمانية في العالم الإسلامي في الحقيقة سلاح لضرب الحركة الإسلامية وتحديد النشاط الديني حتى المساجد والمدارس تتعرض للرقابة وتصدر تعليمات تمنع ترميمها أو إصلاحها ، وتغلق المدارس الدينية ، و يراقب على نشاطات الدعاة و المصلحين ، و المؤلفين في الموضوعات الدينية ، وبلغ الأمر في تركيا حد مصادرة شهادات الجامعات الإسلامية وإغلاق المدارس الدينية الأساسية .

إن هذا الإجراء ضد مرشح حزب له اتجاه ديني ، والضجة التي أثارتها الصحافة الأوربية ، يتعارض أساسياً مع قيم الحضارة الأوربية ، والنظام السياسي الأوربي الذي يقوم على أساس حرية التعبير وحرية العقيدة ، وحرية تشكيل حزب سياسي ، وحرية الاشتراك في الانتخابات السياسية ، واحترام رغبات الأغلبية ، أو الجمهور ، إن الصحافة العالمية تعترف بشعبية الزعيم الذي قدم نفسه لهذا المنصب ، وتعترف بإصلاحات الحزب الذي ينتمي إليه ، ثم تسعى إلى منعه من الوصول إلى هذا المنصب العظيم ، كل ذلك يبدى تناقضاً كبيراً في الفكر والعمل ، أو معيارين لأوربا ، ولغير أوربا .

***

قراءة في كتاب :

كتاب العربية والأدب

بقلم : الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوي

تلقينا كتاباً ممتعاً ، ومؤلّفاً مفيداً ، حافلاً بالنكت العلمية والأدبية للأستاذ الأديب محمد نعمان الدين الندوي ؛ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس تحرير مجلة "الصحوة الإسلامية" الصادرة من دار العلوم بحيدرآباد (الهند) ، ورئيس المعهد العالي للغة العربية وآدابها بدار العلوم السالف ذكرها ، إنه مجموع دراسات تحقيقية وعصارة مقالات علمية ، طبع تحت إشراف "دار حسان للطباعة والنشر بحيدرآباد" يتحلى جيده بتقديم المفكر السعودي والكاتب الإسلامي فضيلة الشيخ فاروق صالح باسلامة - حفظه الله - ، وتتجمل ديباجته بتصدير ضاف للأستاذ الأديب الشيخ نور عالم خليل الأميني ؛ رئيس تحرير مجلة "الداعي" الصادرة من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند .

إن الكتاب المشار إليه جاء في أوانه ، وصدر من مكانه ، أما أوانه فلأنّ هذا العصر قد تميز بالإبداعات والمخترعات الحديثة ، وتكدس بتقنية المعلومات وأجهزة الحياة المادية ، وهذا كله في أكبر دولة في العالم ، وقد قيل : "الناس أتباع من غلب" فهناك شغف زائد باللغة الإنجليزية أكثر منها بالعربية بدافع من الرغب وكسب المنافع والأرباح ، ولا يدور في خلدهم أن اللغة العربية أكثر نفعاً في العاجل والآجل كليهما ، لأن دولها وأراضيها غنية بالثروات المعدنية ودينها باق إلى يوم القيامة ، وقد كشفت الدراسات أن الإنجليزية لا تعمّ جميع أرجاء المعمورة ، غير أن اللغة العربية قد عششت في قلب كل دولة ، ودوّت أصداؤها وتدوى في كل بقعة من بقاع الأرض ببشارة من النبي المصطفى الحبيب ﷺ : **"لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلاّ أدخله الله الإسلام بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل"** (رواه البيهقي في شعب الإيمان) ، فهذا الكتاب إنما ظهر ليُعِيْدَ ثقة الناس بالعربية ويزيد حبهم لها ، أمّا صدوره من مكانه فلأنه من اهتمامات الأستاذ الشيخ محمد نعمان الدين الندوي ، وقد تخرج في جامعة ندوة العلماء التي حملت لواء الاعتناء باللغة العربية كلغة حية نامية نطقاً وكتابة وحواراً وكلاماً ، فصدقت عليها تلك المقولة السائرة : "واحة خضراء في صحراء قاحلة جرداء" فإن لم يكن مؤلف الكتاب من أبناء ندوة العلماء فمن

أجدر بمثل هذا العمل ، والشيخ نعمان الدين الندوي كان جديراً بأن يُحرز قصب الرهان عندما تشكو مطامح الركاب صعب السباق وخطورته ، فنظراً إلى جهوده العلمية اضطر الدكتور المفكر الإسلامي عبد الحليم عويس إلى أن يقول : "مؤلف هذا الكتاب (الروائع والبدائع في الحديث النبوي) من خيرة الباحثين الهنود ، والمفكرين الملمين الواثبين في شبه القارة الهندية ، ويتميز البحث بالأسلوب العلمي النقدي ، وبالروح المؤمنة الرزينة" .

تناول المؤلف الكريم في هذا الكتاب موضوعات بارزةً للغة العربية والأدب بالشرح والبيان ، وهي تتلخص في ١٧/عنواناً رئيساً ، فالعنوان الأول يتحدث عن أبرز خصائص اللغة العربية ، وهي أيضاً تنحصر حسب تقسيم المؤلف في ١٧/خصيصة ، وكلها تحوي معلومات مفيدة ، أول خصيصة ذكرها المؤلف أن اللغة العربية أقدم زمناً وأعرق ممتداً ، فلم يكتف بهذه الدعوى بل أتى بدليل وقارن بينها وبين اللغات الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية والقبطية والإسبانية ، إنه يقول : "إن اللغة الإنجليزية التي كتب شكسبير مؤلفاته بها غير اللغة التي كتبت بها خطب مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة ، مع أن الفارق الزمني غير كبير إذا قيس بالنسبة إلى العربية مثلاً" ، والخصيصة الثانية التي تتميز بها اللغة العربية أنها لغة السعة والمرونة ، فقد ذكر المؤلف لإثباتها إحصائيات لبعض علماء اللغة بأن عدد الألفاظ العربية المستعملة قرابة اثني عشر مليوناً ، بينما ذخيرة ألفاظ اللغة الفرنسية حوالي خمسة وعشرين ألف لفظ ، والإنجليزية مائة ألف فقط ، لذلك كان الإمام الشافعي يقول : "لسان العربية أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً" ومن خصائصها الاشتقاق ، ومزية المترادفات ، والجمع بين الضدين ، وتفرد اللغة العربية ببعض الحروف ، وكون العربية تامة الحروف ، وبدقة الفروق اللغوية ، وهي لغة ناضجة ، لغة التغليب والالتفات ، لغة الحكمة والبيان ، لغة الإيجاز ، لغة خالدة خلود الزمان ، والخصيصة الأخيرة أنها لغة القرآن .

بيّن المؤلف في العنوان الثاني أهمية اللغة العربية وفضل الأدب في ضوء أقوال السلف المأثورة ، فلم يَخُصّ به زمناً دون زمن ، بل انتقى من القرآن آياته الدالّة على هذا المعنى ، واختار من الحديث طائفة ، ومن الآثار جزءاً وافراً ، واقتطف من مراجع اللغة العربية ومصادر الأدب ومن ثنايا الصحف والمجلات كلاماً وأقوالاً مجموعها مائة قول ، ثم سلّط صاحب الكتاب في العنوان الثالث الضوء على الصلة المتوافرة بين اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، فممّا يَهُمُّنا

ذكره هو أن الخليفة هارون الرشيد كان متربعاً على عرش الخلافة فجرى أمامه حوار بين الإمام أبي يوسف والكسائي ، فكما قيل : إن الإمام أبا يوسف لم يكن يعتني بالعربية اعتناءاً كلّياً ، والكسائي كان مولعاً بالعربية منذ نعومة أظفاره نطقاً وكتابةً ، فطرح الكسائي على الإمام أبي يوسف مسألة قال فيها : رجلان يقول أحدهما : أنا قاتل غلامك (بإضافة قاتل إلى غلام) ، ويقول الثاني : أنا قاتل غلامك (بتنوين قاتل) من أيهما تقتص ؟ فقال أبو يوسف على سجيته : من كليهما ، عند ذلك ، قال الكسائي : أخطأت القاتل هو الأول ، وأما الثاني فإنه يتوعد .

اللحن في اللغة العربية خطأ لا يجبر ، وخرق لا يرتق ، فكلما كان الكلام متطرقاً إليه اللحن كان ممجوجاً ، مؤلف الكتاب يعرف هذه الحقيقة ، فقد عقد عنواناً باسم : "اللحن في العربية بين غيرة السلف وعقوق الخلف" ، ذكر فيه الكتب التي ألّفت في شناعة اللحن واستهجان العرب إياه ، وما هي دلائل القرآن والسنة حول اللحن ، ثم كيف كان تعامل السلف من الصحابة والتابعين وأئمة العلماء قديماً وحديثاً ، ذكر المؤلف أن سيدنا عمر بن الخطاب كان يقول : "تعلّموا الفرائض واللحن والسنن كما تعلّمون القرآن" وذات مرّة سمع أعرابياً يقرأ : إن الله بريء من المشركين ورسوله (بكسر اللام) فأصدر الفتوى أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة ، وكان أبو ريحان البيروني قد بلغ حبّه الزائد الصادق للغة العربية ... حتى قال : "لئن أشتم بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية" .

كشف المؤلف اللثام عن حقيقة سعة العربية وفرية ضيقها ، وعدّد الأسماء والمسميات بالأرقام المحددة ، فإنه حينما يتحدث عن ذلك يقول : للجمل خمسة آلاف وست مأة وأربعة وأربعون لفظاً ، وللثعبان أربع مأة ، وللأسد ست مأة ، وللحية مأتا اسم ، وللكلب سبعون ، وللسيف ألف اسم على الأقل ، وللعسل ثمانون ، وللطير والريح والظلام والماء والبشر أسماء تصل من عشرين إلى ثلاث مأة لفظ ، وفي آخر هذا المقال رثى لأناس يقولون : إن اللغة العربية تضيق عن وصف آلات وماكينات جديدة ، ولا تتسع لنحت أسماء ، واستشهد بهذه المناسبة بأبيات حافظ بك إبراهيم التي قرض قصيدته على لسان العربية.

الحديث النبوي من مصادر اللغة العربية ، لأنه كلام أفصح العرب لساناً ، وأبلغهم بياناً ، لكن اختلفت آراء العلماء في الاحتجاج به ، فهناك ثلاث طبقات : المانعون ، المتوسطون ، المعترفون بالاستشهاد بالحديث النبوي ، هذا

الموضوع مُهم للغاية وقد بحث المؤلف هذا الموضوع ، وخرج منه كما خرج إبراهيم من نار نمرود سالماً ، هذا البحث طرف من دراسته الموضوعية التي أنجزها في سنة التخرج في دار العلوم لندوة العلماء ، وقد طُبع باسم : "الروائع والبدائع في الحديث النبوي" وقد أشاد سماحة العلامة الندوي رحمه الله ، بجهده هذا قائلاً : "هذه المأثرة المستحقة للتقدير لدارس ومتخرج من دار العلوم لندوة العلماء ، فسعد بتأليف هذا الكتاب العزيز محمد نعمان الدين الندوي ، وحظي بالقبول والثناء" .

الأدب حلية الإنسان وزينته ، وهو أرفع مادة من اللغة ، فاللغة هي صياغة الجمل ، وصناعة التشكيلة ، وتكوين التفعيلة ، لكن الأدب حسن وبيان ورونق وجمال ، وصنعة وبديع ، وتحسين وتنميق ، فبالنظر إلى هذا الفارق وضع المؤلف تقسيم الكتاب في جزئين معنوياً ، فكما كتب عن اللغة وخصائصها كذلك سطّر مقالاً مسهباً حول عنوان : وقفات مع الأدب والأديب والأدب الإسلامي ، هذا المقال يفيد معلومات مهمة ، ذلك لأنّ هناك أسفاراً ومجلدات حول الأدب والأدب الإسلامي مشحونة بالإفادات العلمية المتينة ، لكن ما أودعه المؤلف فيه من مدلولات وإشارات وخصائص وميزات ، جديرة بالاستفادة والإفادة .

إن المؤلف كتب عن أهمية قراءة الأدب مقولة نقلاً من معجم الأدباء : إن عبد الله بن المبارك كان يقول : "أنفقت في الحديث أربعين ألفاً ، وفي الأدب ستين ألفاً ، ويا ليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب" إن الأدب آلة صماء ، فهو معول هدم ومادّة بناء ، ويتوقف ذلك على حسن استخدامه أو بالعكس ، ذكر المؤلف شروطاً للأدب الصالح البناء ، وهي تتلخص في التوعية والتهذيب ، والإفادة بالتجربة النافعة ونشر العلم الصحيح ، والنهوض بالمجتمع ، فيتجلى من دراسة هذه القواعد الفرق الأساسي بين العالم والأديب ، يقول علي الطنطاوي رحمه الله : كان علماؤنا يفرقون بين العلم والأدب ، فالعلم تخصص وتعمق ، والأدب أخذ من كل شئ بطرف ، وكان ابن قتيبة يقول : "من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً من الفنون ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتفنن في العلوم ، ثم ذكر المؤلف الأدب الإسلامي تعريفه ومفهومه ، واصطلاحه قديماً وحديثاً وبين أبرز خصائصه : العقدية والإنسانية ، ثم بيّن ما قام به الأدب من دور بارز في الفتوحات وماذا كان تأثيره في الآداب الأخرى وما هي وظيفة الأديب المسلم ، وما الحاجة إلى الأدب الإسلامي .

هناك بعض عناوين الكتاب وهي : نواح عبقرية وأمور مهمة من لغة الضاد ، الشعر الصامت ، خطابة المفاخرة والمباهاة ، إفادات وملاحظات في اللغة للطنطاوي ، الشعر في نظر النبي الكريم ﷺ ، نموذجان من سحر البيان ، فضل العربية والأدب في ضوء أقوال السلف ، وحوار طلابي تمثيلي ، هذا كله يدعو المشغوفين باللغة العربية إلى دراستها والاغتراف من نبعها الصافي ، ويستلفت نظر الأقلام الواعدة الصاعدة إلى قراءتها بوجه خاص .

📖 **بعض الملاحظات :**

ذكر المؤلف أن اسم كتابه : "كتاب العربية والأدب : مجموع مقالات وخواطر في العربية والأدب" إن قليلاً من التأمل يفيد أن لفظ "خواطر" ربما لا يصح استعماله هنا ، لأنّ صاحبه لم يترجم عن فيض خاطره وانطباعات قلبه ، بل جمع المعلومات المبعثرة تحت عناوين متفرقة من كتب ومجلات ونشرات ودوريات ، فإذا كانت أفكاره المدونة له لا للغير ، لكان الاستعمال صحيحاً ، لأن معنى الخاطرة : ما يتعلق بالقلب من أمر أو رأي أو معنى ، وقد أصاب الدكتور أحمد أمين وعلي الطنطاوي المحزّ حينما سمّيا كتابهما : "فيض الخاطر" و "صور وخواطر" .

إن الكتاب ينقصه المراعاة التامة بالفن التأليفي بحيث يوجد فيه تكرار بدون سبب ، فقد قال المؤلف : إنه مجموع مقالات ودراسات كتبت للمجلات والجرائد في مناسبات مختلفة .

ذكر المؤلف لبعض الشخصيات ترجمة حياتها ، وترك بعضاً منها ، رغم أن منهجية البحث تتطلب أن يتجلى حسن الملاءمة في كل مناسبة ومع كل شخصية ، ومثال ذلك ما كتب من سيرة ذاتية للبيروني في صفحة/١٠٥ ، وإن كان هناك أعلام من التاريخ العلمي أجدر بالذكر بتفصيل لائق .

يتضح من خلال مطالعة الكتاب أن المؤلف أدخل في تنسيق العبارة وتجميلها تعبيرات مفرطة جرّت إلى الإفراط والتفريط والإخلال بالغرض المنشود .

تناول المؤلف في أول مقال له ببيان أبرز خصائص العربية ، ولعلها لم تنل حقها من الاعتناء المطلوب .

هذا ما بدا لي من خلال دراسة الكتاب ، والواقع أنّ الكتاب ليس مفاجأة تاريخية أو ثورةً في حلبة الفكر والخيال ، بل عصارة اشتغال علمي باللغة والأدب عبر السنوات الماضية ، وهو فاتحة خير لطالبي اللغة العربية ، ندعو الله أن يجعله مقبولاً سائر الذكر وجديراً بأن يكون زينة القلوب والأرواح ، وتمتد يد الحنين و الشوق إلى قراءتها .

والله ولي التوفيق .

أخبار علمية وثقافية :

مجمع الفقه الإسلامي في الهند في ملتقاه الأخير

مترجم من الأردية : بقلم : الأستاذ محمد إبراهيم الندوي

قرارات تمت الموافقة عليها في الملتقى السادس عشر الذي عقده مجمع الفقه الإسلامي على مستوى الهند على دعوة من الشيخ المفتي حبيب الله القاسمي ؛ مؤسس ومدير الجامعة الإسلامية دار العلوم بـ "مهذب فور" أعظم كراه ، أترابراديش (الهند) خلال فترة ما بين ٣٠/مارس و ٢/أبريل عام ٢٠٠٧م على عدة قضايا معاصرة هامة منها : "أوقات رمى الجمار والمبيت بمنى في ١٠-١١-١٢/من ذي الحجة" و "حقيقة الموت" و "النظرة الشرعية نحو موت الدماغ" و "رفع آلة التنفس الصناعية عن المريض" و "القتل الرحيم أي قتل من يشكو مرضاً عضالاً بطريقة خالية من الألم" حضره قرابة مائتين من العلماء وأهل الإفتاء والقضاء من داخل الهند وخارجها ، وتناولوا هذه القضايا بحثاً وتحقيقاً وقراراً على شكل جماعي ، وبالتالي اجتمعت آراؤهم على ما يلي :

- **١- مسألة رمى الجمار :**

الحج من أهم العبادات في الشريعة الإسلامية التي لم تكتب إلا مرة واحدة في الحياة ، مما يقتضي أن يلتزم الحجيج فيها بأفضل الطرق وأقربها إلى السنة ، ويأخذوا فيها بأحوط الجوانب ، والذي يلفت النظر أن في أوقات الرمى من الأيام الثلاثة (١٠-١١-١٢/من ذي الحجة) سعة كثيرة ، والرمى مباح في كل يوم من هذه الأيام إلى طلوع الفجر ، فلو اختير للرمى وقت مناسب يلائم حال الرامي و وضعه ، لم تكن مشقة ولم يحدث حادث فإن معظم الكوارث تنجم عن العجلة والجهالة بالأحكام .

٢- يكره الرمى في عاشر ذي الحجة قبل طلوع الشمس وبعد طلوع الفجر في الأحوال العادية ولكنه يجوز للمرضى والمعوقين والنساء والضعفاء .

٣- لا يجوز لأحد أن يرمى في عاشر ذي الحجة بداية مـن منتصف الليل لأن وقت الرمى لم يبدأ بعد.

٤- يبدأ وقت الرمى في ١١-١٢/من ذي الحجة بعد زوال الشمس، ويستمر إلى ما قبل طلوع الفجر من التـاريخ المقبـل لا ينبغـي أن يتجـاوز الرمى هذه الأوقات، ويجب الاهتمام بذلـك علـى مـن يقـوم بـأداء الحـج المفروض إلا من ألجأه العذر الشديد أو الضرورة القائمة فرمى قبل الزوال فلا يجب عليه الدم عملاً بقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

٥- لا يكره الرمى في ١١-١٢/من ذي الحجة بعد غـروب الشـمس نظراً إلى الوضع المشاهد من الزحمة الشديدة.

٦- لا يوجب الوقوف بمنـى بعـد غـروب الشـمس في ١٢/مـن ذي الحجة رمى الجمـرة في ١٣/مـن ذي الحجـة إلا أن يطلـع الفجـر مـن ١٣/ذي الحجة وهو واقف بها، عندئذ يجب عليه الرمى في ١٣/من ذي الحجة.

- **حكم الوقوف بمنى:**

١- يسن للحجيج المبيت بمنـى في أيـام الوقـوف بمنـى (١٠-١١-١٢/من ذي الحجة)، فينبغي لهم أن يقضوا لياليها بمنى ولا يرتكبوا ترك سنة عظيمة من دون ضرورة شديدة لمجرد إيثـار الراحـة والنعيـم بسـبب بيتـهم خارج حدود منى.

٢- ولا جناح في المبيت خارج منى عند الحاجـة والضـرورة لضيـق المكان أو تطبيقاً لنظام الحكومة.

- **حقيقة الموت وآلة التنفس الصناعية:**

١- إذا توقف تردد النفس كليـاً وظـهرت أمـارات المـوت في هـذا الوقت خاصة يحكم بوقوع الموت وبه يبدأ نفاذ الأحكام المتعلقة بالموت مـن الوصية والإرث والعدة.

٢- إذا كان المريض معالجاً بآلة التنفس الصناعيـة ولم يبـد الأطبـاء يأسهم من شفائه ويؤملون عودة نظام تنفسه الطبيعي فلا يصح لورثته رفع آلة التنفس عنه إلا إذا لم يمكن علاجه من ملكه ولم يتمكـن ورثتـه كذلـك من تحمل تكاليف علاجه ولم توجد لمواصلة علاجـه وسـيلة مـن الوسـائل

الأخرى.

٣- إذا أبدى الأطبـاء يأسـهم مـن صحتـه وحياتـه وعـودة النظـام الطبيعي للتنفس أثناء علاج المريض بالآلة الصناعية جاز لورثته رفـع هـذه الآلة عنه.

- **القتل الرحيم (EUTHANASIA) أو قتل من يشكو مرضـاً عضـالاً بطريقة خالية من الألم:**

إن الشرع الإسلامي يولى الحياة الإنسانية أهمية قصـوى، والإبقـاء عليها مبلغ الجهد واجب على صاحبها وعلى الآخرين، ويترتب على ذلك أمور وأحكام.

١- يحرم اتخاذ طريقة تسبب موت المريض لإنقاذه من شـدة الألم أو لتأمين أقربائه والمنتمين إليه من تكـاليف الطـب ومشـاق العيـادة إذا كـان تعمدا ويعد ذلك قتل النفس.

٢- كذلك لا يجوز ترك علاجه مع القدرة عليه اسـتعجالاً للمـوت وإن لم يقدم له ما يسبب الموت.

- **التسويق المتشابك الصفقات (Multi-level marketing):**

١- في الصور السائدة للتسويق المتشـابك مفاسـد مختلفـة، فإنـها تتضمن الغرر وتعليق البيع بما ليس منه وتحويـل صفقـة مفـردة إلى صفقـة مركبة، بمعاملتين، ويشتمل كذلك على نوع مـن القمـار، وليـس غـرض المشاركين في هذه الصفقة شراء البضائع، وإنما الحصول على عمولـة غـير عادية، لذلك كله لا تجوز المساهمة فيها.

٢- بناءاً على عدم جواز المساهمة فيـها لا يجـوز إشـراك الآخريـن فيها ولا الحصول على العمولة بواسطة الأعضاء الفروع.

٣- على المسلمين جميعاً اجتناب مثل هذه الصفقات، ولا يجوز لهم المساهمة في أية معاملة تجارية تتعـارض مـع القواعـد والأحكـام المقـررة في الشريعة الإسلامية.

***

إصدارات جديدة :

١- كتب تفسيرية مهمة عديدة ، وتراجم القرآن الكريم

قلم التحرير

ألقى فضيلة الشيخ برهان الدين السنبلي ؛ رئيس قسم التفسير في كلية الشريعة بدار العلوم ندوة العلماء ، عدة محاضرات حول كتب التفسير المتداولة وتراجم القرآن الكريم ، على دعوة من المعهد العالي الإسلامي ، حيدرآباد - الهند ، تناول فيها أربعة كتب التفسير وتعريفها وبيان خصائصها وتميزاتها والمناحي البلاغية التي تتضمنها ؛ وهي :

١- تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمرو بن كثير الدمشقي من علماء القرن الثامن الهجري .

٢- تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي من مواليد القرن السادس الهجري في طبرستان .

٣- تفسير الكشاف للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، المعروف بجار الله الزمخشري ، من علماء القرن الخامس والسادس الهجري في الشام .

٤- ترجمة القرآن الكريم باللغة الفارسية ، لشيخ الإسلام أحمد ابن عبد الرحيم الدهلوي ، من علماء القرن الثاني عشر الهجري في الهند.

نظراً إلى فوائد هذه المحاضرات التفسيرية العلمية والبلاغية اهتم مدير ومؤسس المعهد العالي الإسلامي في حيدرآباد فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني ، بنشرها في صورة رسالة علمية ، وحلى جيدها بمقدمة ضافية .

جزى الله المؤلف الكريم والناشر الجليل على هذه الهدية الغالية التي أهدياها إلى طبقات العلماء والمفسرين والباحثين في الموضوع ، وأما لغة الرسالة فهي أردية ، جديرة بالنقل إلى العربية .

٢- هدايا الإسلام للنساء

وهذه رسالة أخرى للمؤلف الكريم الشيخ السنبلي ، ألفها تحقيقاً لقرار إصلاح المجتمع الذي اتخذته هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في ندوتها السابعة عشرة المنعقدة في "الجامعة الرحمانية" بمدينة "مونغير"

بولاية بهار (الهند) .

وهي ذات فوائد مشتركة للرجال والنساء ، وقد بحث فيها المؤلف عن القوانين القديمة ، مثل القانون الروماني ، والقانون اليوناني ، والقانون النصراني ، واليهودي والهندوكي ، وقام بدراسة مقارنة بينها وبين الإسلام ، وعن وضع المرأة فيها وفي الإسلام ، و تحدث عن التميزات الإسلامية التي نالتها المرأة في القانون الإسلامي .

وهي جديرة بالمطالعة ، والاستفادة ، قدم لها فضيلة الشيخ الجليل مولانا محمد ولي الرحماني ؛ رئيس الجامعة الرحمانية في مونغير .

٣- فتح المطالب في مناقب علي بن طالب

هذا كتاب في مجلدين ضخمين تحتوي على مناقب وفضائل سيدنا علي بن طالب ﷺ ، وقد جمعها المؤلف الكريم الأستاذ خسرو قاسم ، أستاذ بجامعة عليكراه الإسلامية في الهند في كتابه هذا ، من مصادر مختلفة كثيرة ، وباللغة العربية الفصحى ، ولعله أول كتاب عظيم يدور حول حياة سيدنا علي بن طالب بمثل هذا التفصيل والدراسة العلمية ، ولنقرأ ما يقوله المؤلف الكريم عن عمله هذا التاريخي ، فذلك يغنى عن الإشادة بالمؤلف وكتابه : يقول :

"وبما أن كتابنا هذا مكرس لذكر فضائل أمير المؤمنين علي ﷺ ، فإننا نعترف بالقصور في هذا المجال ، فمما لا شك فيه أنه ليس من الميسور على الباحث أن يلم بكل جوانب شخصيته ﷺ ولا أن يتعمق في وصف فضائله ومناقبه ومكارم أخلاقه ومقامه الأسنى ، مهما جد واجتهد وبذل ما في وسعه وطاقته ، ذلك لأنه يقف أمام شخصية هي فوق الشموخ ، عالية في سماء العظمة وعلياء المجد ، تترفع عن أيدي المتناولين ، وتسمو عن نعت الناعتين و وصف الواصفين ، وثناء المادحين ، يصعب عرفانها والوصول إلى حقيقة كنهها" .

ونحن إذ نهنئ المؤلف الكريم على هذا الجهد العلمي ؛ ندعو الله سبحانه أن يسبغ عليه ثوب القبول .

***

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد الغفار حسن الرحماني ، في ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة ، وفاة فضيلة الشيخ عبد الغفار حسن الرحماني في مهجره ببلدة فيصل آباد (باكستان) يوم الخميس ٢٢/من شهر مارس ٢٠٠٧م ، الموافق ٢/من شهر ربيع الأول لعام ١٤٢٨هـ ، عن عمر يتجاوز ثمانين عاماً ، حافلاً بتدريس العلوم الإسلامية ، وخدمة السنة ، وتدريس الحديث في مدارس بلده ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث قضى مدة لا بأس بها في وظيفة أستاذ الحديث ، وقد عاد إلى بلاده بعد ما تقاعد عن العمل وسنحت له فرصة للاستجمام والمطالعة في منزله ، ولدى أقربائه ، وقد كان لي شرف اللقاء معه في فيصل آباد (لائل فور سابقاً) في عام ١٩٥٩م في طريقي إلى الهند من بغداد ، وذلك في الجامعة السلفية أيام تدريسه فيها ، ثم تكرر اللقاء في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلما قدر لي أن أزورها وأقضي سويعات في جوها الروحاني الشفاف ، فإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الراحل الكريم من كبار علماء الحديث ومن العلماء البارزين في باكستان ، أكرمه الله تعالى بالعلم الغزير والأخلاق الفاضلة والتواضع والقبول ، قد عين أميراً للجماعة الإسلامية في باكستان لوقت ما ، كما كان عضواً للمجلس الإسلامي الأعلى ، فانتشر خيره إلى أنحاء بعيدة ، وقد رزق عدداً كبيراً من تلاميذه الذين أحبوه ونقلوا فوائده العلمية إلى مجموعات واسعة من طلبة العلم والحديث ، والعلوم الإسلامية ، وكانت له نظرة في الدراسات القرآنية ، وشغف باللغة العربية زائد ، فلم يقصر في تعليمها أنجاله الكرام مع اللغات العالمية الأخرى ، وله آثار علمية ومؤلفات قيمة تتجمل بها المكتبة الإسلامية على سعتها ، أما نجلاه الكريمان الأستاذ الدكتور صهيب حسن والأستاذ الدكتور سهيل حسن فيعتبران في منزلة عالية من العلم والمعرفة ، والدعوة إلى الله تعالى ، ونشر علوم الكتاب والسنة في أوربا وباكستان وغيرهما من البلدان ، والدكتور سهيل حسن من أهم أساتذة الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد .

نستطيع بذلك أن نقدر اهتمام الفقيد المرحوم بإذن الله تعالى بالعلم والدعوة ودعم العقيدة الإسلامية ، وسدّ فراغ العفاف والطهر و

العطاء الإيماني و العلمي ، الذي نشأ في مجتمعات المسلمين بوجه عام ، نتمنى على الله تعالى أن يجعل من أبنائه من ينوب عنه في جميع أعماله وعلومه .

و ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ؛ و يغفر له زلاته ؛ ويكرمه بجنات ونعيم : ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ * وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ * فَقَدْ فَازَ ﴾ .

والدة الشيخ الأستاذ محمد كليم الصديقي ، إلى رحمة الله تعالى

فوجئت أسرة المجلة بوفاة الشيخ الأستاذ محمد كليم الصديقي ، مؤسس جامعة الشيخ ولي الله الدهلوي ومركز الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي للدعوة في بلدة "فلت" بمديرية مظفرناغر الهند ، وذلك يوم الاثنين في ٢٣/من أبريل ٢٠٠٧م ، الموافق ٥/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٨هـ ، فإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ ، وقد صلى عليها سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء .

كانت الراحلة الكريمة من فضليات النساء ، وداعية مخلصة إلى الله تعالى وكبيرة الاهتمام بتعليم وتربية أولاد المسلمين ، وأفراد عائلتها ، فإن ابنيها فضيلة الشيخ محمد كليم الصديقي والأستاذ محمد سليم شهادة لحياتها الإسلامية المثالية التي عاشتها مع أعضاء الأسرة ، فجزاها الله تعالى خيراً كبيراً على صالح الأعمال التي وفقها الله تعالى إليها .

ونحن إذ نعزي أبناءها الأجلاء ، وجميع أعضاء الأسرة الطيبة على هذا المصاب ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويغفر لها ، ويصفح عن زلاتها ، ويكرمها بجنات الفردوس في الآخرة ، ويلهم الجميع الصبر والسلوان ، فَإنَّهُ سَمِيْعٌ مُجِيْبٌ قَرِيْبٌ .

رحيل سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة ، والقائم بأعمال ومناصب عالية في الحكومة ، فقد سبق أنه شغل منصب أمير المدينة المنورة وتبوك ؛ يقال : إنه كان الأمير الثالث والثلاثين بين أنجال الملك عبد العزيز الأمراء ، عاهل المملكة العربية السعودية ، وقد أشرف على توسعة الحرم المدني المبارك طول أيام الإمارة في المدينة المنورة ، وأسهم في ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ، ولما انتقل إلى مكة

المكرمة بعد سبع سنوات عاد إليه الإشراف على توسعة الحرم المكي الشريف، وإنجاز هذا المشروع العملاق، فجزاه الله تعالى بخير ما يجزى به عباده العاملين المخلصين.

وقد كان الراحل الكريم طريح الفراش منذ مدة عام كامل، ورغم المعالجات المتيسرة لم يكتب له الشفاء فرجع إلى ربه راضياً مرضياً يوم السبت الخامس من شهر مايو لعام ٢٠٠٧م المصادف ١٧/من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٢٨هـ.

والمسئولون عن ندوة العلماء إذ يرفعون تعازيهم على المصاب إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز والأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية يبتهلون إلى الله تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، ويغفر له زلاته، ويكرمه بالجنات والنعيم في الآخرة، ويجعله مع الذين أنعم الله عليهم من عباده المؤمنين، ويلهم الجميع الصبر والسلوة، فإنه سميع مجيب الدعاء.

سمو الأمير عبد الله الفيصل، في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة سمو الأمير عبد الله الفيصل، في مدينة جدة المملكة العربية السعودية، وذلك في اليوم التاسع من شهر مايو ٢٠٠٧م المصادف ٢١/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٨هـ؛ فإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ.

لقد كان الراحل الكريم رئيس النادي الأهلي سابقاً، وكان شاعراً وبارعاً في تنظيم الأمور، وكان في عام ١٩٥٠م وزير الداخلية والصحة فأنجز أعمالاً جليلةً في هذا المجال ثم ترك الوزارة واشتغل بالشئون التجارية، وكانت له تجارب واسعة في عديد من مجالات الحياة.

صُلي عليه في المسجد الحرام بمكة المكرمة مع رجال الأسرة المالكة وعلى رأسهم سمو الأمير الملكي ولي العهد سلطان بن عبد العزيز، وشخصيات بارزة من المملكة العزيزة.

ونحن إذ نعزي حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ورجال الأسرة المالكة، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وغفر له زلاته، ورفع درجاته، ويدخله في جنات ونعيم، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعون من قراءة: "البعث الإسلامي"، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥١/عاما بالاستمرار، ويبتدئ بهذا العدد عامها الثاني والخمسون – والحمد لله –.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI).

بالعنوان التالي :

مكتب : "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء – ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص.ب ٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)